DOI : 10.12816/0001740

الصلات العلمية والروحية بين علماء شنقيط وعلماء فاس في عهد الدولة العلوية

المستشار الشيخ محمد الأمين بن محمد بيب

رئيس لجنة الفتوى بدائرة القضاء أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة.

لقد نسج التاريخ والجغرافيا وشائج قربى وروابط اتصال وثيقة ومتعددة الأوجه بين بلاد شنقيط والمغرب الأقصى بوجه عام، ومناطقه الجنوبية بوجه خاص، ولاسيما على الصعيدين الثقافي والروحي. وإذا كان مركز ثقل تلك العلاقات قد تركز بالأساس في حواضر مناطق التماس بين المنطقتين، فإن فاس وأحوازها لم تكن بمنأى عن ذلك التواصل الفكري الثري منذ أن شُيِّدت بها جامعة القرويين التي انبثقت من أحضان جامعهم الذي بنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية سنة 245هـ، واتسعت حلقات الدارسين به حتى تحول إلى جامعة في عهد المرابطين، وتوسع أكثر في العهد المريني. ومنذ قيام تلك الجامعة، تحولت فاس إلى مركز إشعاع علمي مهم في المنطقة، وأصبح هنالك نوع من الترابط بين الدور العلمي الريادي لجامعة القرويين وبين الإشعاع المعرفي للوسط الآوي لها المتمثل في مدينة فاس. وبذا يكون الحديث عن علماء فاس حديثاً عن علماء القرويين بوصفهم جزءا من المنظومة المعرفية العامة لهذه المدينة. ومن هذا المنطلق كان اختيارنا لعنوان هذه المقالة التي تتناول بعض جوانب التفاعل التاريخي بين علماء

الصلات العلمية والروحية بين علماء شنقيط وعلماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismāʾīl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-ʿAqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

شنقيط وعلماء فاس الضارب الجذور في التاريخ.

ويكفي في هذا الصدد، الإشارة إلى البعد الرمزي للتواصل بين أمير صنهاجة الصحراء يحيى بن إبراهيم الكُدالي وأبي عمران الفاسي (365 - 430هـ) [1] الذي تمخضت عنه حركة المرابطين التي أزالت الحواجز البدعية[2] بين المنطقتين، ووحدتهما في مذهب سني واحد إلى اليوم.

غير أن تعاظم شأن دولة المرابطين في الشمال، وتصديها لحروب الاسترجاع في الأندلس، وإخضاع أمراء الطوائف وتوحيد العدوتين، وما تولد عن ذلك كله من تشجيع هجرة النخبة الصحراوية نحو الشمال؛ كلها عوامل تساعد في تفسير صدود المؤرخين العرب عن الصحراء وأهلها صدوداً ترك فراغاً وثائقيا كبيراً ألقى بظلاله الكثيفة على أخبار المنطقة ردحاً طويلا من الزمن، فحال دون تتبع مظاهر التواصل الفكري بين المنطقتين على مدى قرون عديدة.

فعلى الرغم من وجود مؤشرات كثيرة على حدوث هجرة معاكسة من المغرب إلى الصحراء عقب إطاحة الموحدين بالمرابطين، وانتعاش تيار الحركة البشرية والتواصل الثقافي خلال عهدي المرينيين والسعديين؛ فإننا لا نملك معطيات ملموسة عن التواصل العلمي والروحي قبل العهد العلوي. ومن هذا المنطلق، حددنا للإطار الزمني لهذا العرض بعهد الدولة العلوية الذي نتوفر فيه على مصادر عن بعض أوجه ذلك التواصل.

أ.مظاهر التواصل العلمي: تعددت أوجه هذا التواصل المعرفي خلال القرون الأربعة الماضية، وسيقتصر حديثنا عنه على عمليات الاستفتاء والإلغاز العلمي، والأخذ والعطاء المباشر، وحضور المؤلفات الفاسية كمرجع أساسي لدى العلماء الشناقطة، وحضور المؤلفات الشنقيطية في فاس.

الاستفتاءات والألغاز العلمية: اعتاد الشناقطة على الاستفتاء عما يعِنُّ لهم من استشكالات معرفية منذ وقت مبكر -نسبياً- من اعتناقهم الإسلام والحصول على حظ من الثقافة العربية الإسلامية. وكانت تلك الاستفتاءات موجهة بالأساس إلى علماء الغرب الإسلامي[3]، إذ لا تمدنا المصادر بفتاوى لمفتين محليين قبل القرن العاشر الهجري، إذا ما استثنينا ما أوردته الكتب الإخبارية عن إفتاءات كان يصدرها شفهياً ابن ياسين[4]، وما ذكر القاضي عياض[5] من أن لمتاد بن بلين اللمتوني «كان من عبادهم وفقهائهم... والمثل يضرب بفتياه في بلاد الصحراء...».

ولعلّ من أقدم الاستفتاءات الموجهة إلى أحد خريجي مدرسة فاس وأصيليها، السؤال الذي بعث به الفقيه عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت1103هـ)[6]، المعروف بالقاضي، إلى قاضي مُرّاكش ومفتيها أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني (ت1062هـ)[7] يستفتيه فيه عن مسألتين إحداهما في علم الأصوات، والأخرى تتعلق بـ"الجلد بعد السلخ وقبل الدبغ هل يخرج بذلك عن الطعام أم لا»؟

ونكتفي هنا بمقاطع من السؤال والجواب في مسألة علم الأصوات كما وردت في أجوبة السكتاني المجموعة[8]، الأكثر تفصيلا من رواية التنواجيوي[9] لهذا الاستفتاء. فبعد براعة الاستهلال المعهودة، جاء في الاستفتاء ما نصه:

الصلات العلمية والروحية بين علماء شنقيط وفاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

«ما قولكم، أيدكم الله وحفظكم، في مسألة شاع في بلاد شنكَيض وأحوازها واشتهر عند العامة والخاصة منهم صفتها وأمرها، وهي أن تلك البلاد شأنهم حين ما يتلون القرآن العزيز أن يُبدِّلوا الضادَ لامًا في جميع قراءتهم، في الصلاة وغيرها، فاتحة كانت أو سواها من السور، بحيث يقول التالي مثلا إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ عوضاً عن ضاداتها: «والله فلَّل بعلكم على بعل»، أو تلا قوله تعالى أيضا: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، قال عوضا عن ذلك أيضا: «غير المغلوب عليهم ولا اللالين» بلامات مفخمات في جميع ذلك؛ وليس ذلك من غلبة العجمة، وإنما هو عمد وقصد لذلك. ولو شاءوا أن ينطقوا بالضاد على صفتها لنطقوا بها، لكنه زعم قارؤها أن هذه القراءة هي عين الصواب ومخطئه على العكس يستحق عنده على قراءته العقاب، واعتقد ذلك ديناً قيماً وصراطا مستقيماً. فهل، حفظكم الله، قارئ هذه القراءة على الصواب كما زعم أم لا؟ وعلى الثاني، فهل يسري الفساد إلى صلاته فيعيدها أبداً أم لا؟ وهل مُعْتَقِدُ ذلك يُحكم بكفره أم لا؟ وعلى الكفر، فهل يُسْتَتَابُ اسْتِتَابةَ الكافر، فإن تاب وإلا قُتل؟ وما ترى، حفظكم الله، إن تمالأ عليه أهل قطر وامتنعوا من الرجوع عنه لاعتقادهم صواب ما هم عليه، فهل يُقاتلون على ذلك أم لا؟ بيِّن لنا الحُكم الشرْعِيَّ مَعْزُوًّا لقائله، وأجب لنا فصلاً فصلاً، كتب الله لكم السعادة الدائمة».

وقد ردَّ السكتاني على مختلف هذه الاستشكالات مبيناً خطأ تلك القراءة، وفساد دين صاحبها فضلا عن بطلان صلاته، وكفَّر من أصرَّ على تلك القراءة، فقال: «...والذي أراه وأدين به أن قارئ هذه القراءة حائد في قراءته عن الصواب، محرف لكلام القرآن عن مواضعه... كيف والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بقراءته، وهو متواتر مجمع عليه، معلوم من الدين، فأنَّى يكون ما ارتكبه هذا القارئ في قراءته وتحريفه بجرأته صواباً، وما عليه المسلمون في قراءة الضاد وجعله ضادا دون تغيره إلى اللام خطأ.. وأما قول السائل: فهل يسري الفساد إلى صلاته أم لا؟ فجوابه أن الفساد يسري إلى دينه فضلا عن صلاته.. فإن قلت ما وجه فساد صلاته على تقدير الإخلال في دينه؟ قلت وجهه أن ما أتي به ليس بقرآن، فهو مُخل بركن من أركان صلاته وهو قراءة الفاتحة لاستحالتها على الضاد التي جرى فيه التغيير والتبديل في قراءة هذا القارئ، ومخل بشرطها وهو ترك الكلام في غير إصلاحها لأنه بتبديله متكلم فيها بما ليس بقرآن عمداً في غير إصلاح. وهذا المعنى مأخوذ من قول الشيخ المازري رحمه الله عند قوله في المدونة: «ولا يُصلي من يُحسنُ القراءة خلف من لا يحسنها، وهو أشد من إمام ترك القراءة والإعادة في ذلك كله أبدًا...لأنَّ ما أتى به من لا يحسن القراءة ليس بقرآن، فهو تارك للقراءة متكلم. فلذلك قال: «وهو أشد من إمام ترك القراءة». انتهى من شرح قواعد أبي الفضل عياض لأبي العباس القباب رحمه الله... وأما قوله: «فهل مُعْتَقِدُ ذلك كافر أم لا»؟ فجوابه أنه بتبديله وتغييره للقرآن على الوجه الموصوف، يحكم بكفره لإيذان فعله باستخفافه به وتهاونه به... كإلقاء مصحف في مرحاض بل هو أشدُّ منه لأنه غيَّر حقيقتَهُ، بخلاف من أَلْقَى

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بشير محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

المصحف فإنه ما غيّر الحقيقةَ، ثُمَّ تغيُّرُ الحقيقة يُؤدِّي إلى تغْيِيرِ المعنى وتحريفه، لأنَّ الألفاظ قوالب المعاني.. وأما على قوله: «وعلى الكفر، فهل يستتاب استتابة الكافر»؟ فجوابه أنه إن كان مظهراً لذلك استتيب على القاعدة في المرتد، وإن كان يُخْفِي ذلك فهو زندقة والخلاف في استتابة الزنديق، والمشهور عدم استتابته. وأما قوله: «وإن تمالأ عليه أهل قطر فامتنعوا من الرجوع عنه لاعتقادهم صواب ما هم عليه»، فجوابه أنهم كفار، وحكمهم كحكمهم يقاتلون ويجاهدون بعد الاستطاعة»[10].

ويبدو أن هذا الجواب كان له أثره في تخلي القوم عن تلك الطريقة في نطق الضاد التي «لم يعد لها أثرٌ في العصور المتأخرة»[11].

وأَلْغَزَ حفيده ابن رازكَه[12] لعلماء فاس، ولابن زكري[13] منهم خاصة، في الإظهار في محلِّ الإضمار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف: 76)، فقال (طويل):

شُـيُوخَ الْبَيَانِ الذَّائِقِـينَ حلاوةً
من العِلْمِ لَمْ تُطْعَمْ لِغَيْرِ ذَوِيهِ
سَلامٌ مِنَ اللهِ السَّـلاَمِ ورحمـةٌ
يَعُمَّانِكُمْ منْ خَامِـلٍ ونَبِـيهِ
سُؤَالُ غَرِيبٍ دُونَ شَنْجِيطَ أَرْضِهِ
مِـنَ الْبُعْدِ تِيهٌ يَتَّصِلْنَ بِتِيهِ
إِذَا شَبَّهَ الْهَادِي بها وَجْهَ مُرْشِدٍ
تَشَابَهَ في عيْنَيْهِ وَجْهُ مُتِـيهِ
قِرَاهُ لَدَيْكُم أهـلَ فَاسٍ جَـوَابُهُ
بِنَصِّ جَوَابٍ فِي الْبَيَانِ وَجِيهِ
سَـمَا بِكُـمُ عِلْمُ البـيانِ وَحَقُّهُ
إذا ما هَـوَى ظَنٌّ بِمُخْتَلِجِيهِ
أُسَائِلُكُمْ مَا سِـرُّ إِظْهَـارِ رَبِّـنَا
تَبَارَكَ مَجْدًا «مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ»
فَلَمْ يَأتِ عَنْهُ «مِنْهُ» أو «مِنْ وِعَائِهِ»
لأَمْرٍ دَقِـيقٍ جَـلَّ ثَمَّ يَخِـيهِ
فإنْ تَكُ أَسْـرَارُ الْمَعَانِي خفـيَّةً
فمـرآتُها أفكـارُ كلِّ نَبِـيهِ
وأَنْتَ ابْنَ زُكْـرِيٍّ إِمَامٌ مُحقِّـقٌ
تَفَـرَّدْتَ في الدُّنْيَا بغيْرِ شَبِيهِ
إذا غُصْتَ في بحرٍ حَصَلْتَ بدُرِّهِ
وخَلَّيْتَ عنْ سَفْسَافِـهِ وَرَدِيهِ
يَمُـدُّكَ في إِتْقَـانِ عِلْمٍ تَبُـثُّهُ
قِـيَّاسُ أُصُـولِيٍّ ونَـصُّ فَقِيهِ
وَقَاكَ الَّذِي أَبْدَاكَ كَالنَّجْمِ يَتَّقِي
بِهِ الْغَيَّ مَنْ يَبْغِي الْهُدَى وَيَعِيهِ[14].

ولم تحتفظ الذاكرة الشنقيطية بجواب لهذا اللغز من علماء فاس ولا من ابن زكري -الذي يبدو من نص ابن رازكَه أنه كان عارفاً به وبمكانته العلمية- بل تقول المصادر إن حلَّ اللغز جاء على لسان صديقه العلامة محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي (ت1166هـ) الذي صرح في جوابه بأن أهل فاس لم يجيبوا على اللغز، فقال من قصيدة طويل:

سـؤال بليغ في البـيان نبـيه
أديب من أرباب الهدى وذويـهِ
عليه مدار العصر في العلم سيما
علوم المعاني وهو قطب رحيه
سـبوق لدى قيد الشوارد راكب
من الفهم متنيْ لاحق ووجـيه
عن السر في إتيان ربي بظاهـر
مكان ضمير «في وعاء أخيه»

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بباب محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

مُعَمَّى قد أَعْيَي أهل فاس وغيرهم
فَكُنَّا بحمد الله مفتتحيهِ
وكلَّفني نصحُ البرية فَكَّهُ
فَأَعْظِمْ بما قد كان كَلَّفَنِيهِ
فقلتُ وباللهِ الصَّوابُ مُجَاوِباً
له بقياسٍ في الأصول وجيه
ولكنه صعْبُ المدارك مُعْسِرٌ
على ضُعَفَاءِ الفهم مُنْتَقِصِيهِ
فهذا بحمد الله إيضاح لُغْزِهِ
مساوٍ له في بحره ورويهِ
فلو قال فرضاً ربنا «من وعائه»
فذلكم بعد التفكر فيه
يؤدي إلى عود الضميرِ ليوسفٍ
فيفسد معناه لمختبريه
لأنّ الضميرَ في الصناعة عائد
لأقرب مذكور هناك يليه
وإن قال «منه» اختلّ أيضًا لأنه
يؤدي لعود مضمر لأخيه
فَتُنْزَعُ منه الصاع لا من وعائه
وتأنف من ذا نفس كل نزيه
لما في انتزاع من أذًى ومهانةٍ
ولم يرد الرحمن ذا بنبيهِ[15]

وتكاثر هذا النوع من التواصل في العصور اللاحقة حيث أورد صاحب المنارة والرباط[16] – مثلا- سبع حالات من هذا النوع لأربعة علماء شناقطة بارزين وجهوا ألغازاً إلى علماء فاس، وأورد أجوبة بعض علماء فاس عنها لم يحددهم بالاسم. وتناولت تلك الألغاز قضايا فقهية تتعلق بالعمرى ووراثته، ونساء أهل البيت اللواتي لا يمنعهن الحيض – على رأي بعض الفقهاء - من دخول المسجد، وما يبطل الصداق في عقد النكاح الصحيح، وإشكالات فقهية أخرى في التركة والنكاح. وكان حظُّ اللغة من تلك الألغاز لغزًا واحدًا يتعلق بالمصدر الذي لا يُثَنَّى ولا يجمع ولا يؤنث. ونكتفي من تلك النماذج بأبيات محمد عثمان بن أغشممت المجلسي (ق 13هـ) التي قالها لما قدم فاس، مُلغزاً لأهل مدارسها في تركة العمرى التي ترجع إلى من أعمرها لا إلى ورثة المعمر عليه، ودخول نساء أهل البيت الْحِيَّض وأهله الْجُنُبِ المسجدَ، وعدم تثنية وجمع أو تأنيث المصدر:

إلى مدارسِ فاسَ الْغُرِّ أسئلةٌ
عيالِم أهل الحفْظِ والمَلَكه
عن حَاضِرٍ قَسْمَ متروكٍ لِوَالِدِهِ
صار البكاءُ لهُ حَظاً من التركهْ
ومَا بِهِ مَانِعٌ في القسم يمنعهُ
وحاز الأبعد عنه كل ما تركهْ
وعنْ طَوَامِيثَ لا يُمْنَعْنَ أو جُنُبٍ
من مسجدٍ وفروع الفقه مُشْتبكهْ
واسم في الإفراد والتذكير تذكُرُهُ
وفرعَ ذين بنوعٍ واحدٍ سلكهْ
أريدُ منكم جواباً رائقاً حسناً
نظْمًا وإلا فما أعطتكم الشبكهْ

وقول أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي (1238-1339هـ):

يا أهل فاس الغر لغز سياقه
بنص خليل جا وفيه مساقه

.....

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية

..... بيب ، محمد الأمين بن محمد

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

أسائل ما عقد صحيح صداقه
قد أبطله قبل البناء فراقه
وآخر فيه أكمل المهر كله
على الزوج من قبل البناء طلاقه

فأجابه أحد علماء فاس، لم يحدده المصدر، بقوله:

فمن وهبت قبل البناء صَدَاقَها
لزوج وذاك الزوج حم فراقه
وليس لها نصف بتطليق زوجها
فما شطر المأخوذ منه طلاقه
وواهبة من مالها لحليلها
قبيل البنا ما سيق منها صداقه
يعيد لها المأخوذ منه جميعه
جواب بحمد الله تم اتساقه.

ولم يقتصر التواصل على الاستفتاء والألغاز، وإنما تم التواصل المباشر أخذاً وعطاءً، حيث احتفظت لنا المصادر بأسماء شناقطة أخذوا مباشرة عن علماء فاسيين، وفاسيين أخذوا عن علماء شناقطة وفدوا إلى المغرب.

الأخذ والعطاء المباشر:

اعتاد أصحاب الهمم العالية من خريجي المحاضر الشنقيطية في القرون الماضية إعمال الرحلة إلى المغرب والمشرق العربيين لاستكمال زادهم العلمي، والحصول على إجازات عالية السند - ما أمكن - وأداء فريضة الحج. وكانت الحواضر العلمية في المغرب الأقصى أول محط رحالهم ومركز جذبهم الأساسي، وخصوصاً سجلماسة وتارودانت وتامكروت ومُرّاكش لاعتبارات جغرافية وتاريخية وجيهة، وإن كانت فاس ومنارتها العلمية جامعة القرويين قد نالت حظها من ذلك الإقبال لما لها من إشعاع علمي ومكانة كبيرة.

فقد ارتاد العديد من علماء شنقيط الحواضر العلمية في المغرب الأقصى منذ أن ازداد الإقبال على الأسانيد المغربية ابتداء من القرن الحادي عشر الهجري. وقد احتفظت الذاكرة الشنقيطية بأسماء بعضهم، وأسماء من أخذوا عنه ومن أخذ عنهم، إلى درجة أن الأسانيد في بعض العلوم تمر مباشرة بأحد علماء فاس كما هي حال أسانيد القراء في المنطقة التي يمر بعضها مباشرة بقارئ المغرب الشهير عبد الرحمن بن القاضي الفاسي (ت1082هـ)، وأغلبها بتلميذه علامة سجلماسة أحمد الحبيب اللمطي (ت. 1165هـ)، فسيدي عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي الشنجيطي. وممن أخذوا مباشرة عن علماء فاس أو أخذ هؤلاء عنهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1 - محمد بن حبيب الله بن الفاضل اليعقوبي الشمشوي

(ت1204هـ) الملقب المجيدري الذي أعمل الرحلة -بعد أن تضلع من علوم بلده- إلى حواضر المغرب الأقصى ومصر والحجاز والتقى خلال رحلته بعلماء أجلاء مثل مرتضى الزبيدي (ت205هـ) الذي يذكر أنه شاركه في تصحيح معجمه تاج العروس، وصالح الفلاني (ت1218هـ) الذي نوّه بحفظه. وكانت له في مدينة فاس صلات وثيقة بالسلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله (ت1204هـ)، وشارك في المناظرات التي كان هذا السلطان يجمع لها الفقهاء ويوجه اهتمامهم نحوها، وزوده بمكتبة كبيرة في رحلة العودة إلى بلاده. وارتبط المجيدري خلال تلك الإقامة بالعديد من رجال الفكر والمشايخ من أمثال حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلميّ الفاسي (ت. 1232هـ)[17] والشيخ عبد الوهاب التازي (ت1206هـ) الذي جدد عليه أوراده الصوفية. ومن

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

أشهر الآخذين عن المجيدري في فاس أحمد بن إدريس الحسني (ت1253هـ)[18] الذي أصبح ذا شأن عظيم. وقد كان لتلك المناظرات والصلات العلمية أثرها البالغ في توجه المجيدري إلى العودة إلى الأصول ونبذ فقه الفروع وعلم الكلام الأشعري التي كانت صدًى لنزعة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في المغرب الداعية إلى العودة إلى الأصول الأولى للإسلام و«الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل»[19]، وعمل بجهد واجتهاد من أجلها حتى صاغ منهجها التعليمي في رسالته التوجيهية إلى شيخ الجماعة التاودي سنة 1203هـ[20]. وقد أحدثت دعوة المجيدري ردود فعل قوية لدى علماء قومه الذين بدَّعَهُ أكثرهم، ودخل في مناظرات فكرية حامية الوطيس مع بعضهم.

اعتاد أصحاب الهمم العالية من خريجي المحاضر الشنقيطية في القرون الماضية إعمال الرحلة إلى المغرب والمشرق العربيين لاستكمال زادهم العلمي، والحصول على إجازات عالية السند - ما أمكن- وأداء فريضة الحج. وكانت الحواضر العلمية في المغرب الأقصى أول محط رحالهم ومركز جذبهم الأساسي، وخصوصاً سجلماسة وتارودانت وتامكروت ومُرّاكش لاعتبارات جغرافية وتاريخية وجيهة، وإن كانت فاس ومنارتها العلمية جامعة القرويين قد نالت حظها من ذلك الإقبال لما لها من إشعاع علمي ومكانة كبيرة.

2 - **سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام العلوي** (ت1233هـ) الذي أخذ عن كبار علماء بلاده، وسافر لأداء فريضة الحج وللتعلم، فلقي علماء الحجاز ومصر وذاكرهم. ومكث في فاس ست سنوات ينهل من علوم شيوخها ويبذل ما لديه من علوم، وذاكر السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فأعجب به وأكرمه. وقد أخذ سيدي عبد الله بوجه خاص عن كبار شيوخ فاس مثل محمد بن الحسين البناني (ت1194هـ)، ومحمد التَّاوُدِي بن سودة (ت1209هـ)، وعمر بن عبد الله الفاسي (ت1188هـ)، وعاد منها سنة 1189هـ بعلم وافر وخزانة كتب كبيرة. وقد أسس محضرة ذائعة الصيت تخرج منها الكثير من فطاحلة العلماء، وانتصب للتأليف والقضاء والإفتاء في منطقته تكَّانت، وأصبحت مؤلفاته في علم الأصول والبيان ومصطلح الحديث مقررة في معظم المحاضر الشنقيطية.

وتحدث ابن طوير الجنة (الرحلة، ص43) عن مرور سنده في الفقه بهؤلاء الأشياخ الفاسيين حين قال في معرض حديثه عن فترة مقامه في فاس: «وجئنا يوماً إلى جامع القرويين، فوجدنا فقيهاً يدرس في الأكرية من مختصر خليل، وسلمت عليه ومعي جماعة من حجاجنا، فتجارينا في الحديث إلى أن بلغنا التعريف بشيخي، بعد أن سألوني عنه، فأخبرته أنه قرأ العلوم بفاس وشيخاه في ذلك الوقت: سيدي محمد البناني صاحب الحاشية على الزرقاني، وسيدي محمد التاودي بن سودة رضي الله عنهما، فقال لي الفقيه المدرس: أنت بضعة منَّا، أَوَّلُكَ منَّا وآخِرُكَ منَّا».

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

3 - عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطي (ت1224هـ) الذي وصفه ابن السائح[21] ب«العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات والعقليات، المبرز على زمانه في تحقيق الجزئيات منها والكليات». وقال عبد العزيز بنعبد الله[22] إنه من خريجي القرويين و«أنه كان شيخ الجماعة بفاس مدة إقامته بها». وذكر الكتاني في فهرسه[23] أن «عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الفاسي، العلامة المحدث الصوفي أبو محمد، شارح فاتحة البخاري وخاتمته وغير ذلك... ساق حديث الأولوية عن أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الشنكَيطي [هذا] المتوفى بفاس سنة 1224، عن الفلاني بشرطه»، وأن لديه تلك الإجازة. كما عُدَّ هذا الشنكَيطي من جملة شيوخ ومُجِيزِي التهامي بن رحمون الفاسي (ت1263هـ)[24]، الذي أجازه عالمٌ شنقيطي آخر هو الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني (ت1265هـ) خلال رحلته الشهيرة إلى الحج (1245 - 1250هـ).

4 - الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل القلقمي (ت1328هـ) الذي أجاز كُلاً من صاحب المعيار الجديد أبي عيسى المهدي الوزاني مولداً، الفاسي تعلماً وسكناً ووفاةً (ت1342هـ)، وابن الخياط الفاسي (ت1343هـ) الذي قال عنه عبد الحي الكتاني[25] إنه «آخر من بقي بفاس من وعاة الفقه المالكي وحَمَلَتِهِ على كاهلهم، العارفين بأصوله وفروعه، الخائضين فيه أكبر وأوسع خوض عرف عن المتأخرين»، وعبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت1328هـ) الذي ترجم للشيخ ماء العينين في فهرسته ترجمة مطولة وقال في روايته عنه: «... لما وصل إلى فاس أخيراً توجهت إليه زائراً فاستدعيت منه الإجازة العامة، فأجازني لفظاً رحمه الله بكل ما له»[26]...

5 - محمد حبيب الله بن سيدي عبد الله بن مايابي الجكني (ت1346هـ) صاحب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، الذي أخذ عن كبار علماء بلده وعن محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ) بعض معارفه في المنطق وعلم الحديث والأصول. وحصلت بينه معرفة مع السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي طلب منه الإقامة معه في طنجة لأخذ العلم عنه، فأقام بها مدة قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة.

ويبدو أن صلة الرجل بعلماء فاس لم تنقطع، وأن عملية الأخذ والعطاء بين الشناقطة والفاسيين كانت سنة متبعة بدليل رسالته إلى عبد الحي الكتاني في 1342هـ التي أوردها حرفيا في فرس الفهارس والأثبات (ج.1 /53 - 57)، بل كان ذلك سنة متبعة بين علماء المسلمين عموما كما قال الكتاني في تمهيده لهذه الرسالة حين تحدث عن «ما كان بين المسلمين قديما من سني الاتصالات ووافر الروابط وكبير الصلات، وجعل الكل تقليد جيده بعد الحج والزيارة بواسع الرواية، والتعزز بعز الإجازة، أفخر المقاصد وأبهجها، وأوسع المتاجر وأربحها، مما يبرهن لك عن مقدار تقدمهم وارتقائهم، وكبير عزهم وعظيم استغنائهم... وهنا أسوق لك نص استدعاء الشيخ محمد حبيب الله ليكون الجواب مطابقا وليأتي الكلام متناسقا»:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إنه السلام التام، وغاية التحية الطيبة بالدوام، من عبد الله محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابا الجكني نسبا، الشنكَيطي إقليما، المدني مهاجراً، المكي وطناً، خادم تدريس العلم بالمسجد الحرام،

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
الشيخ محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

تقبل الله أعماله، إلى العالم العلامة المحدث الأثري الحافظ الحجة الناقد ذي المآثر العديدة والتآليف النافعة المفيدة الشيخ عبد الحي الكتاني، جمعنا الله وإياه في دار التهاني والأماني؛ أوجبه أنه لما كان العلم من بين ذويه أعظم رابطة، وقد تعارفت بالسيد السند سيدي محمد بن سيدي جعفر الكتاني ابن عمكم الشهير وانتفعت به، وأخذت منه إجازات عديدة، دعاني ذلك إلى محبة جميع هذه العائلة الكريمة. ولما كنتَ واسطة عقدها في الإسناد، وسائر العلوم التي عليها في الديانة الاعتماد، أحببت أن أستجيزكم بالمراسلة، وأبين صورة طلبي لهذه الإجازة، فهي أني أحب أن أجمع ثبتا متصلا بجميع الأثبات المعروفة في الدنيا على طريق الاختصار، أحب الإعانة من جنابكم بإجازة لي منكم جامعة لما في حفظكم مما اتصلت به أسانيدكم من الأثبات المعبر عنها عند المغاربة بالفهارس، فإني رأيت رسالتكم في البسملة المطبوعة بالأميرية، وقد ذكر معها أسماء بعض مصنفاتكم الحسان، ومن جملتها ثبت لكم، ولاشك أنه يكون جامعاً لكثير من مرادي، فأحب أن ترسلوا لي نسخة منه عليها خطكم الشريف بإجازتكم لي بجميع ما اشتملت فهرستكم المعبر عنها بالثبت، وأخص من ذلك أن تكتبوا لي إجازة صورتها: ثبت فلان أرويه عن فلان، عن فلان، عن فلان، عن مؤلفه، وقد أجزتكم بجميع ما اشتمل عليه، حتى تجمعوا لي ما أمكنكم من أثبات العلماء القدماء والمتأخرين، وإن تداخلت فلا ضرر بذلك التكرار، فإني أريد به الإعانة على هذا المقصد الشريف، وأحب أن تكون لكم فيه معونة. وقد أرسلت من مكة لسيدي محمد بن سيدي جعفر فكتب لي اتصال إسناده بنحو خمسة وخمسين ثبتا، وقد جمعت أنا قبله نحو السبعين، فجميع ما أفادني فيه زيادة نحو سبعة إثبات، وقد فرحت بها جدا ونفعتني في مرادي غاية، سواء المكرر مع ما عندي وغيره، ونحو هذا أو أزيد أرجوه منكم هكذا : ثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن مؤلفه، وقد أجزتكم بما فيه، وثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن فلان عن مؤلفه بجميع ما فيه، وقد أجزتكم بذلك كله، وهكذا إلى أن تأتوا على ما أمكنكم من الأثبات. ولا شك أنكم جامعون لأسانيد المشارقة والمغاربة وترسلوا لي هذه الإجازة النافعة، ولم أطلبها من غيركم لحسن ظني بكم في هذا المعنى وغيره، وبالأسف إني لم أقابلكم قطّ لأن زمن أخي الشيخ محمد الخضر بفاس كنت أنا بمراكش، ومنه انتقلت للمدينة المنورة وتأخرت بطنجة أشهرًا قلائل عنها، لكن قد قال القائل:

إنا على التنائي والتفرق
لنلتقي بالذكر إن لم نلتق

وترجمتكم وفضائلكم عندي محفوظة، وقد أرسلت لكم على يد السيد أبي القاسم الدباغ ثلاث رسائل مما طبع من مصنفاتي:

إحداها: منظومة تقرب الألف سميتها: دليل السالك إلى موطأ مالك، بينت فيها صحته ومساواته لصحيح البخاري، ورجوع الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح عما اعتمده من ترجيح البخاري عليه في مقدمة فتح الباري، وجعلت له خاتمة في مباحث أصولية مهمة جدا، وأظن أنه يناسبكم كله إلا ما ملت إليه من ترجيح السدل، فعسى أن تكفر حسناته عندكم سيآته كما هو شأن الكرام. وقد كتب لي سيدي محمد بن سيدي جعفر فيه ما نصه: كل تأليفكم هذا من أوله إلى آخره صحيح عندي إلا ما رجحتموه

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
تأليف : محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

من ترجيح السدل، فقلت له: إني إن شرحته وظهر لي ما يردني عن ذلك وأُرَجِّحُ به القبض رجعت في الشرح ولا غرابة في مخالفة شرح لمتنه، وإن أردتم أنتم الآن فاشرحوه وتعقبوا مبحث السدل بما عندكم، فلا غرض لي إلا ظهور الحق الواضح.

الرسالة الثانية: في أصح ما ورد في المهدي وعيسى عليهما السلام.

والثالثة: في اتصال سندي بالمصافحة بالنبي ﷺ، وقد كتبت لكم الإجازة في ثاني ورقة منها من باب رواية الأكابر عن الأصاغر. ولعلنا نجتمع إن شاء الله بالحرمين فتكون حقيقة، ونقتبس من أنواركم أوفر نصيب. هذا وعنواني إن أردتم مكاتبتي: الشيخ محمد حبيب الله بن ما يابا الشنكَيطي المدرس بالمسجد الحرام، والأولى الإرسال للإجازة مع الحجاج إن تيسر ذلك، وإعلامي في البوسطة بقبولكم لطلبي منكم، جزيتم خيرا، كتبه منتصف المحرم الحرام سنة 1342، محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابا خادم نشر العلم بالمسجد الحرام وفقه الله آمين»، اهـ كلامه بلفظه من خطه.

ولا حاجة بي إلى الإطالة بأنه أبقاه الله استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم، لكن:

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى
إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ
وَصَوَّحَ نَبْتُها رُعِيَ الْهَشِيمُ (...)

وهذا حين الشروع في المقصود، مستعيناً بالرب المعبود، فأقول: قد أجزت محبي في الله الشيخ محمد حبيب الله الجكني وأولاده جميع ما تجوز لي روايته وثبتت لي درايته من جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، إجازة عامة مطلقة تامة، يُحدِّثُ بها عني كيف شاء وأنى شاء، بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر، متمثلاً بقول أبي جعفر الفاروقي:

أجـازَ لهمْ عُمَرُ الشَّافـعيُّ
جميعَ الذي سألَ المُستجِيزُ
ولم يشترطْ غيرَ ما في اسمه
عليه وذلك شرطٌ وجيزُ

يعني العدل والمعرفة المانعين من الصرف».

وفي عصرنا الحاضر، استمرَّ تقليدُ إقبال الشناقطة على فاس وارتياد جامعتها العتيقة والارتواء من معينها المعرفي الفياض، حيث ارتادها الكثيرون من أمثال الشيخ محمد عبد الله بن الصديق (أمدَّ الله في عمره) الذي انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة القرويين سنة خمس وسبعين وتسع مائة وألف ميلادية وحصل منها على شهادة الليسانس، ويعتبر اليوم من خيرة العلماء الذين تفخر بهم موريتانيا.

ونكتفي بهذه النماذج التي اقتصرنا فيها على من أخذوا من الشناقطة عن علماء فاس، أو من فاسيين أخذوا عن علماء شنقيط، لنلقي نظرة على حضور المؤلفات الفاسية في المنظومة العلمية الشنقيطية واهتمام الفاسيين بالمؤلفات الشنقيطية.

المؤلفات الفاسية مرجع معتمد لدى العلماء الشناقطة: أشرنا فيما تقدم إلى أن الرافد المغربي في الثقافة الشنقيطية قد اشتد الإقبال عليه ابتداء من القرن 12 الهجري حيث شكلت القيروان وفاس والزوايا العلمية بالجنوب المغربي مراكز إشعاعه الأساس. وينصبُّ اهتمامنا، في هذه العجالة،

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

على حضور الرافد الفاسي على الساحة العلمية الشنقيطية وما كان له من حجية عند علمائها. وسنتطرق إلى هذه المسألة من زاوية حضور المؤلفات الفاسية في الساحة الثقافية الشنقيطية، وفي الإنتاج المعرفي والاحتجاج العلمي بها.

فمن أكثر المؤلفات الفاسية شيوعاً وتداولا بين الشناقطة:

- **إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة** للمقري التلمساني الفاسي التي جاءت إلى المنطقة في بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري، فأقبل الناس عليها بالدراسة والشرح والاستدراك منذ ذلك الوقت. وقد أحصى العلامة المختار بن حامد[27] رحمه الله 12 شرحا لها في المنطقة كان أولها شرح العلامة الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت1107هـ) المسمى: فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة.

- **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر** (ت.1040هـ) الذي كان يمثل المرحلة الأولى في تعليم الفقه في المحضرة الشنقيطية. وقد شرحه عدة علماء شناقطة من بينهم النابغة الغلاوي (ت.1245هـ)، صاحب نظم بوطليحية في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب مالك، الذي وضع عليه شرحين مطولاً وموجزاً سماه: المباشر شرح ابن عاشر؛ وأحمد بن البشير الغلاوي (ت.1276هـ) الذي سمى شرحه: مفيد العباد سواء العاكف فيه والبادي، وقد طبع هذا الشرح بالمجمع الثقافي في أبو ظبي سنة 1999.

- **لامية الزقاق في القضاء** لأبي الحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق (ت912هـ) التي كرس لها العلماء الشناقطة أكثر من عشرة شروح من بينها شرح قاضي ولاته اند عبد الله بن أحمد بن اند عبد الله المحجوبي (ت1172هـ) المسمى: فَكُّ الوِثاقِ عن لاميةِ الزَّقاقِ. أما منهج الزقاق في قواعد المذهب، فقد شرحه سبعة علماء شناقطة من بينهم الطالب عبد الله بن الحاج محمد الرقيق العلوشي (ت1220هـ)، ومحمد محمود بن حبيب الله بن القاضي الإيجيجبي (ت1277هـ) الذي سمي شرحه: مفتاح المرتج من ألفاظ المنهج. أما تكميل ميارة للمنهج فقد شرحه كل من محمد امبارك اللمتوني (ت1293هـ)، ومحمد يحيي الولاتي الداودي (ت1330هـ)، ومحمد يحيي بن سليمة اليونسي (ت1354هـ)، وزين بن اجَّمد اليدالي (ت1359هـ).

- **نوازل عبد القادر الفاسي الكبرى** التي كثر العزو لها واعتني بها الناس، فقد رتبها العالم أحمدُّ بن حبيب بن الزايد الأبيجي التندغي (ت1427هـ) على أبواب الفقه المعهودة بطلب من ابن شيخه محمذ فال بن محمد سالم بن أَلَّمَّا اليدالي في مؤلف من 460 صفحة سماه: إرشاد الحائر في أجوبة عبد القادر.

ووضع عليها عبد الله بن محمذن بن محموداً الحسني المتوفي بفاس سنة 1321هـ تأليفاً سماه: تحفة الأناس من فتاوى حبر فاس...

وضمَّن امبويه المحجوبي الولاتي (ت1277هـ) نوازل ابن هلال مجمع نوازله الذي اشتمل -فضلا عنه- على نوازل سبعة من كبار أصحاب المجامع الإفتائية الشنقيطية ونوازل الورزازي التطواني (ت1166هـ).

أما الآجرومية لأبي عبد الله محمد بن داود الصَّنْهَاجيّ المعروف بابن آجُرُّوم (ت. 723هـ)

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
يبي، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

فقد نالت اهتماماً كبيراً ومُحِّصت تمحيصاً لتقريبها من أذهان الناشئة، حيث شرحها عشرة علماء، وعقدها أربعة بالنظم. وكان أول شارحيها عبد الله بن محمد الغيث المحجوبي (ت937هـ)، ثم شرحها سيدي أحمد بن أندغ محمد التنبكتي (ت1045هـ) شرحاً مفيداً سماه الفتوحات القيومية في شرح الأجرومية الذي يقول محمد إبراهيم الكتاني[28] إنه «كان من كتب الدراسة بالقرويين بفاس وطبع بها مرتين، إحداهما بحاشية الشيخ المهدي الوزاني...». كما وضع عليه العلامة محمد بن عبد المجيد أقصبي حاشية، مما يعكس أهمية هذا الشرح بين شروح الأجرومية[29].

وشرح النابغة الغلاوي بائية زروق التي مطلعها:

لقد كان خير الخلق أبهر طلعة

من البدر بل من شمسه هو ألهب

بشرح سماه "أنوار البروق بشرح قصيدة زروق"، كما شرحها محمد بن محفوظ بن دهمد الإيجيجبي(ت1425هـ) وغيره.

ومن بين المؤلفات الفاسية الأخرى الواسعة الانتشار في بلاد شنقيط: **معيار الونشريسي، ونوازل ابن هلال ودره النثير** -التي عدها النابغة الغلاوي[30] من الكتب المعتمدة- والنهاية والتمام في معرفة الأحكام للمتيطي، ونظم العمل الفاسي لعبد القادر الفاسي وشرحه لابنه عبد الرحمن، والدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين لميارة، وشفاء الغليل في حل مقفل خليل لابن غازي، وحاشية البناني على الزرقاني، والمنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق، ومؤلفات زروق في التصوف، وتكميل المرام شرح شواهد ابن هشام لمحمد بن عبد القادر الفاسي، وتحفة الأريب لأبي مدين الفاسي، وزهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي...

وكثيراً ما احتج العلماء الشناقطة في فتاويهم ومؤلفاتهم بآراء علماء فاس واستندوا إليها كمرجع يُعتد به. ولا سبيل للإحاطة في هذا المجال، وإنما سنكتفي بأمثلة من كتب علماء فاس الفقهية التي عزا إليها العلماء الشناقطة كثيراً في مؤلفاتهم مثل: حاشية البناني على شرح الزرقاني لمختصر خليل، وحاشية الرهوني عليهما، واختصار كَنون لحاشية الرهوني، وشرح ميارة على تحفة ابن عاصم، وشرحاه الكبير والصغير على المرشد المعين، وشرح ابن رحال (المكناسي الفاسي) على مختصر خليل الموسوم بفتح الفتاح، وحاشيته على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم، وشرح المنجور على المنهج المنتخب للزقاق، وتقييد أبي الحسن الزرويلي على تهذيب البراذعي، وشرح التسولي على التحفة.

ونذكر من أولئك العلماء الذي عزوا لها: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في نشر البنود على مراقي السعود، وفي نوازله، والكَصري في نوازله، ومحنض بابه بن اعبيد الديماني في ميسر الجليل على مختصر خليل، والمصطفي بن احمدان في مقتنص الشوارد وشرحه، وأحمد بن محمد عينين بن أحمد بن الهادي (ت1321هـ) في مغنيه على مختصر خليل، ومحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (ت1335هـ) في شرحه على مختصر خليل (النصيحة)، ومحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت1323هـ) في كفافه، ومحمدن ابن أحمدُّ فال التندغي (ت1400هـ) في نظم الفوائد، واباه ابن محمد الأمين اللمتوني (ت1380هـ) في نظم الفردوس...

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

وحتى لا نبقى في العموميات، نقدم فيما يلي نماذج دالة من ذلك الاستشهاد لخمسة مفتين من أهل القرون الثلاثة الأخيرة.

فهذا حمى الله التيشيتي (1107 - 1169هـ)[31] يحتج بنوازل ابن هلال في أكثر من موضع من نوازله، وبرأي سيدى محمد العربي الفاسي[32] بشأن جواز العقوبة بالمال عند تعذر إقامة الحدود، فيقول بعد استعراض مسهب لآراء الفقهاء المختلفة في الموضوع: «وقد أشبع الكلام في هذه المسألة الإمام العالم المتفنن أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن الفقيه العالم الصالح سيدي يوسف الفاسي رحمه الله في جواب له عن المسألة في نحو كراس أجاد فيه ما شاء. قاله العلامة سيدي أحمد ميَّارة في شرح لامية الزقاق[33]».

ولم يكتف التيشيتي بالاستناد في قوله بضرورة القضاء بالمثل عن المقوم في البلاد التي لا دنانير بها ولا سكة إلى رأي بعض كبار علماء المذهب في الأندلس، وإنما عززه بعمل اثنين من كبار علماء فاس، فقال: «...فالصواب القضاء بالمثل عن المقوم في هذه البلاد لما ذكرنا مع أن غير واحد من المحققين كابن سهل والباجي وابن رشد أقام من مسائل من المدونة القضاء بالمثل في العروض، وبه كان يحكم آخر المجتهدين بفاس القاضي أبو يحيى أبو بكر بن خلف المواق[34] كما في شرح المنجور[35] على الزقاق».

كما احتج بقواعد ميارة في عدم ضمان من فعل ما يجوز له ونجم عن تصرفه هلاك نفس أو تَلَفُ مالٍ حين قال: «... وكل من فعل ما يجوز له ونشأ عما فعله هلاكُ نفسٍ أو تَلَفُ مالٍ لا ضمان عليه كما نص عليه الأئمة الأعلام في كتب النوازل والأحكام. وإلى ذلك أشار العلامة أحمد ميَّارة في قواعده[36] بقوله:

وكلُّ من فَعَلَ ما يجوز لَـهْ
فنـشأ الهـلاكُ مما فعـلهْ
أو تلف المالُ فلا يضمنُ ما
آلَ لـه الأَمرُ وِفَاقًا فاعلما

تأمل والله تعالى أعلم ».

وأحال الكَصري (ت1235هـ) في نوازله إلى أكثر من عالم فاسي مثل احتجاجه بنوازل عبد الرحمن الفاسي في مسألة صحة إيمان المقلد[37]، ومدى وجوب غسل آلة السواك من وسخ الأسنان، ومعنى «المعينة» في قول خليل: «ونية الصلاة المعينة»، الخ...

واستدل النابغة الغلاوي (ت1245هـ) على عدم جواز الإفتاء أو الحكم بالضعيف ببيت من نظم العمل الفاسي، فقال:

والحُكم بالضعيف غيرُ هاد
ما لم يكن من أهل الاجتهاد
أما المقلِّدُ فمحجور علـيه
وعند ترك راجح رُدَّ إلـيه
لذاك قال ذو النِّظامِ الفاسي
في العملـيَّات، فهي فاسِي:
«حكمُ قُضاةِ الوقتِ بالشذوذِ
يُنْقَـضُ لا يَتِـمُّ بالنُّفُـوذِ»

كما احتج بهذا البيت محنض بابه بن اعبيد الديماني (ت1277هـ) في أكثر من مناظرة من مناظراته الفقهية الكثيرة ولاسيما في مناظرته الشهيرة مع حبيب الله بن الأمين الشقروي (ت1264هـ) بشأن الحلف «بالحرام وجامع الأيمان» وما يترتب عليه من طلاق.

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

واحتج العلامة محمد نافع بن حبيب بن الزايد التندغي (ت1415هـ) في مسألة مراعاة المصلحة المرسلة في قسم الحبس بَتاً للضرورة بفتوى لابن محسود وتعليل عبد الراحمن الفاسي لها، فقال: « قال كاتبه عفا الله تعالى عنه: فتوى ابن محسود هذه ذكرها في نوازل الأحباس من المعيار[38] وذكر فتوى للخمي[39] تُشَاكِلُها، وهو أنه سُئِل عن بقرة مُحَبَّسَةٍ على امرأة ولا شيء لها من المال غيرَها، وخِيفَ على المرأة من الهلاك جُوعًا؛ فأفتى بأنها تُباع لها مستدلاً بأن قَصْدَ المُحَبِّس القُرْبَةُ، وقد جاء أمر تَحَقَّقَ فيه من القربةِ ما هو أفضلُ من بقاء البقرة. وفي نوازل عبد القادر الفاسي[40] أن الشيخ الجليل عبد الرحمن الفاسي[41] قال إن مستند تلك الفتوى في الجملة مراعاة المصلحة المرسلة »[42].

وتحدث نافع عن الفروع التي خالف فيها العلماء النصوص للمصلحة العامة، محتجاً بعمل أهل فاس، فقال: « ثم من الفروع التي خالف العلماء فيها النصوص للمصلحة العامة عملُ أهل فاس بعدم تصديق المُطَلَّقة في انقضاء عِدَّةِ الأَقْرَاءِ[43] وحكمهم لها بما هو الغالب في نساء فاس، وهو ثلاثة أشهر، كلُّ قَرْءٍ له شهر مراعاة للمصلحة العامة لكثرة تَحَيُّلِ نسائهم في تطويل العدة على الأزواج؛ قال في العمليات[44]:

ثُـمَّ الْمُطَلَّقَـةُ ذاتُ الأَقْـرَاَ
ثَلاثةً تَعتـدُّ شهرًا شهرَا

مع أن تصديقها ورد في آية: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾، الآية[45]».

وتؤكد تحريات بعض الباحثين[46] أن الفاسيين قد اهتموا - بدورهم - بمؤلفات علماء إفريقيا جنوب الصحراء عموما، والشناقطة منهم على وجه الخصوص اقتناء، ودراسة، وتعليقا، وطباعة، حيث كان يوجد عدد من المخطوطات الشنقيطية في بعض الخزائن الفاسية (الخزانة الأحمدية، الخزانة الكتانية، الخزانة الفاسية...) قبل نقل محتوياتها إلى الخزانة العامة بالرباط.

ومن الأمثلة التي ساقها حسن الصادقي في هذا الصدد، مخطوط الفتوح القيومية في شرح الأجرومية لأحمد بن اندغمحمد الذي توجد منه نسخ في الخزانة العامة (خ ع د 309، خص 389، خ ت 2624). وقد قال صاحب نشر المثاني (ج1 /331) إن هذا الشرح متداول في فاس، ومرّ بنا قول الكتاني إنه «كان من كتب الدراسة بالقرويين بفاس وطبع بها مرتين، إحداهما بحاشية الشيخ المهدي الوزاني..»، وأن العلامة محمد بن عبد المجيد أقصبي قد حشاه هو الآخر.

أما المثال الثاني فهو مخطوط ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن محمد بن فوديه الفلاني (ت1244هـ) الموجود في الخزانة الكتانية الفاسية تحت رقم 4742 (أصبح يحمل رقم ك 1976 في الخزانة العامة بالرباط) الذي كتب عبد الحي الكتاني تعليقا له دلالته على ورقته الأولى. ومما جاء في هذا التعليق: «هذا التفسير معتمد عند علماء السودان وشنجيط به يدرسون، أخبرني بذلك الشيخ محمد عالِ العلوي الشنجيطي. وذكر عصرينا العلامة الشيخ محمد الأمين بن أحمد [بن بدي] العلوي في كتابه: إفادة الجلاس[47] أن والده كان يعتمده في التفسير ويرجع إليه. كما ذكره واعتمده الشيخ محمد مصطفي بن العلوي في شرحه على نظمه في الشهداء الذين استشهدوا في حياته عليه السلام»[48].

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

ويذكر الطالب أحمد بن طوير الجنة أن كتابه فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان، الذي ألفه في مدينة برقة الليبية سنة 1247هـ وهو عائد من الحج، أصبح من مقررات جامع القرويين بفاس[49].

ومن مظاهر هذا الاهتمام، طبع العديد من المؤلفات الشنقيطية بالمطبعة الحجرية بفاس مثل نظم بوطلحية للنابغة الغلاوي في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب مالك الذي طبع بالمكتبة الملكية بفاس عام 1282هـ ضمن الأعمال الفقهية التي اختيرت في تلك الفترة للنشر.

وطبع كتابا سيدي محمد بن محمد الصغير بن امبوجة العلوي (ت1275هـ): الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سلَّ على الشيخ التجاني سيف الإنكار، وسرية الحق والانتصار والذب عن أولياء الله الأخيار سنة 1319هـ بتصحيح ومقابلة محمد كَنون، وعلى ذمة محمد التهامي بن محمد العربي بن موسى، وأعيد طبعهما.

كما طبع بفاس ما بين 1326 و1330 جزآن من اختصار الشيخ بن سيدي محمد بن حبت الغلاوي (ت1299هـ) لكتاب والده سيدي محمد بن حبت (ت1288هـ): المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية وبهامشه تعليق للسلطان مولاي عبد الحفيظ بن الحسن (ت1330هـ) على احمرار ابن بونه على ألفية ابن مالك سماه: القول المختار على الألفية والاحمرار.

وتم طبع نشر البنود على مراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في فاس سنة 1327هـ، وبهامشه الضياء اللامع في شرح جمع الحوامع لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن القيرواني الشهير بابن حلولو، بتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، والآمر بالطبع مولاي عبد الحفيظ بن الحسن. كما طبع بأمر منه في 1329هـ فيض الفتاح على نور الأقاح لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي كذلك، وبتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني أيضاً.

وطبع فتح الودود شرح مراقي السعود ونيل السول شرح مرتقى الأصول للعلامة محمد يحيي الولاتي (ت1330هـ) لأول مرة بالمطبعة المولوية بفاس سنة 1337هـ بتقديم العلامة محمد حبيب الله بن مايابي.

وناف ما طبع من مؤلفات الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل على الثلاثين، وكان من أوائل ما طبع منها مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع في 1294هـ ونعت البدايات وتوصيف النهايات سنة 1311هـ.

ونكتفي بهذه الإشارات الخاطفة إلى حضور المؤلفات الفاسية على الساحة الشنقيطية وركون العلماء إليها في التدليل والاحتجاج، وحضور المؤلفات الشنقيطية في فاس، لِنُمَحِّضَ القول للتواصل الطرقي بين المنطقتين الذي شكل - هو الآخر - رافداً معرفياً وآصرة تقارب فكري وروحي.

ويستمد حديثنا عن دور الطرق الصوفية في التواصل مسوغه من كون هذه الطرق في شمال غربي إفريقيا عموما، وفي بلاد شنقيط خصوصاً، قد خدمت المذهب المالكي وتمسكت به تمسكاً قوياً. وعليه، فإنه لا يعتبر خروجاً عن الموضوع إذا مررنا مرور الكرام بنوع آخر من الإشعاع الديني لمدينة فاس من خلال التواصل الروحي في مجال التصوف بين مشايخ فاس ومشايخ بلاد شنقيط.

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

التصوف ودوره في التواصل الروحي:

شكلت الطرق الصوفية أداة حيوية للتواصل الروحي بين الشناقطة والفاسيين خلال القرون الثلاثة الأخيرة. فقد احتفظت لنا المصادر بأسماء عدد من الشخصيات العلمية التي زارت فاس وأخذت الطريقة عن هذا الشيخ أو ذاك من شيوخها، وأخذ فاسيين عن شيوخ شناقطة ارتادوا بلاد المغرب.

وإذا كان من المعروف عن سكان الصحراء نزعتهم الزهدية وميولهم الصوفي، فإن التصوف بمفهومه الطرقي، القائم على أساس الحضرات والزوايا، لم يظهر في المنطقة قبل القرن العاشر الهجري حيث كانت القادرية، فالشاذلية أولى الطرق الداخلة إلى البلاد من منطقتي توات ووادي درعة. وتتصل أغلب أسانيد أصحاب الطريقتين في المنطقة بأبي العباس أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت899هـ)، ولاسيما الطريقة الشاذلية التي زاد قَدَمَهَا رسوخاً في شمال غربي الصحراء. وتعزز ذلك الدور بفضل الزاويا: الناصرية، والدلائية والفاسية التي لعبت -إلى جانب دورها الروحي- دوراً كبيراً في إحياء العلم ونشره في المغرب الأقصى وجنوب الصحراء بفضل جهود شيوخها المؤسسين محمد بن ناصر الدرعي (ت1085هـ)، ومحمد بن أبي بكر الدلائي (ت1046هـ)، وعبد القادر الفاسي (ت1082هـ). وكانت فاس، بوجه خاص، مصدر ارتقاء عدة شخصيات علمية شنقيطية في مدارج التصوف الطرقي.

ففيها تلقى الفقيه الأصولي الصوفي محمد المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي أوراد الشيخ عبد العزيز الدباغ (ت131هـ) عن الشيخ عبد الوهاب التازي (ت1206هـ) الذي يعتبر -إلى جانب أحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي الفاسي (ت1156هـ)- من أبرز الآخذين عن الدباغ والناشرين لتعاليمه. وكان المجيدري قبل سفره للحج قد سلك طريق القوم بأخذ الطريقة الشاذلية الناصرية عن أحمد محمود بن ألفغ الخطاط (ت1196هـ) عن أبيه، عن سيدي أحمد الحبيب السجلماسي، عن أحمد بن عبد القادر، عن محمد بن ناصر الدرعي.

وقد أخذ الورد الجديد عن المجيدري علماء بارزون من بني جلدته مثل أخيه أحمد تكرور بن حبلّه، والبخاري بن الفلالي البارکلي (ت1252هـ)، ومولود بن أتفغ أعمر (ت1208هـ) ومولود بن أحمد الجواد (ت1243هـ) اليعقوبيين، ومحمد بن سيدي محمد السباعي التيشيتي (ت1263هـ)؛ وعن هذا الأخير أخذها ابن أخته العالم الجليل محمد بن محمد سالم المجلسي (ت1296هـ).

وكانت التجانية فاسية المنطلق والانتشار في إفريقيا جنوب الصحراء الذي مثلت بلاد شنقيط قنطرة له. فقد دخلت الطريقة التجانية هذه البلاد على يد أشخاص أخذوها مباشرة عن الشيخ سيدي أحمد التجاني بن محمد (1150-1230هـ) في فاس وبثوها في أطراف المنطقة، منهم: الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي (ت1247هـ)، والسالك بن الإمام الحاجي الوداني (ت1245هـ)، وعبد الرحمن بن أحمد الصديقي الشنقيطي (ت1224هـ)، والطالب جدو بن الشيخ المختار العلوي، وعثمان الفلاني... وإذا كان معظم هؤلاء لم يبق لهم سند مشهور الآن، فإن الشيخ محمد الحافظ يُعد من أبرز أعلام الطريقة التجانية في المنطقة وإليه ترجع

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

أسانيد معظم المنتسبين لها في غرب إفريقيا، وبالذات على أيدي مريديه: سيدي مولود فال بن محمذن فال اليعقوبي (ت1267هـ)، وبدي بن سدينا العلوي (ت1264هـ)، خليفة الشيخ محمد الحافظ، والحاج عمر تال الفوتي (ت1280هـ) ومن قفوهم من المريدين من أمثال الحاج مالك سي (ت1340هـ)، والحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي (ت1395هـ) الذي بلغت الطريقة التجانية قمة انتشارها في إفريقيا على يده ويد مريديه من الشناقطة.

وكان الشيخ محمد الحافظ قد أخذ عن كبار علماء قومه في عهده مثل سيدي بن احمدان (ت1230هـ)، وسيدي عبد الله بن أتفغ سيدي أحمد، وحرمة بن عبد الجليل (ت1243هـ)، وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم. ثم سافر إلى الحج، وأخذ التجانية عن مؤسسها بمدينة فاس عند مروره به في رجوعه من رحلته إلى الحج، فبقي إلى جانب الشيخ أحمد التجاني ثلاث سنوات يربيه حتى قدمه في تلقين أوراده. وقد عاد إلى بلاده سنة 1220هـ وأخذ في نشر الطريقة فيها وفي جوارها الجنوبي، وأصبح خليفة التجانية في المنطقة وما جاورها. وواصل خلفاؤه الدور من بعده بفعالية ونشاط، وظلت صلاتهم بفاس متجددة مع الأيام لا بوصفها مزاراً فحسب، وإنما كذلك بوصفها منطقة جذب للتواصل الفكري والتزود المعرفي، وحَكَمٍ يرجع إليه عند الملمات كما كان الحال في صراع التجانية العُمرية مع القادرية البكائية الذي وجد التعبير عنه في رسالة أحمد بن محم بن العباس العلوي في 1281هـ/1865م إلى تجانيي المغرب عموماً، وأهل فاس خصوصاً، للتعريف بالحاج عمر الفوتي ومراحل جهاده، والدفاع عن أعماله السياسية، على أمل الحصول من مخاطبيه على تزكيته وإدانة خصمه سيدي أحمد البكاي ومن يدور في فلكه من أمراء ماسنة[50].

وكان لكل من القادرية الفاضلية[51]، والقادرية المختارية[52] حضور في التواصل العلمي والروحي بين الشناقطة والفاسيين. فالقادرية الفاضلية المتصلة في سندها بالشيخ أحمد زروق الفاسي، قد وجدت مرتكزاً قوياً لها في فاس منذ أن أسس الشيخ ماء العينين زاوية له فيها سنة 1314هـ، وأخذ عنه الطريقة القادرية الفقيه محمد بن جعفر الكتاني سنة 1320هـ[53]، ومحمد بن عبد الحفيظ بن هاشم القادري الفاسي[54] وغيرهما.

أما القادرية المختارية فلم تكن حاضرة فقط من خلال مؤلفات كبار مشايخها المنتشرة في خزائن المخطوطات المغربية، وإنما وجدت كذلك من يعتنقها من أهل المغرب عموما[55]، وأهل فاس خصوصاً مثل العربي الزرهوني الفاسي (ت1260هـ) الذي قال الكتاني[56] إنه أخذ الطريقة القادرية عن محمد بن حبيب الله الصغير الشنكيطي عن الشيخ سيدي محمد (ت1242هـ) عن أبيه الشيخ سيدي المختار الكنتي. وقال عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي (ت1383هـ)[57] إن أبا عبد الله محمد بن عبد الهادي الدباغ الحسني كان شيخ القادرية بفاس، أخذها عن أبي عبد الله محمد الصحراوي، عن محمد بن العجوز الريفي، عن الشيخ سيدي المختار الكنتي الحفيد، عن والده الشيخ سيدي محمد، عن والده الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير بسنده.

كما كان لبعض مشايخها مراسلات مع أهل فاس، وخصوصاً الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي راسل أهل فاس[58] باحثاً عن دعمهم في مناظرته مع الحاج عمر الفوتي خلال حرب هذا الأخير ضد ماسنه ومباركة

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بقلم: محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

حلفاء البكاي - التي اكتست صبغة صراع مفتوح بين التجانية والقادرية - وداعيا إياهم إلى اعتناق القادرية والتمسك بها.

* * *

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة على جوانب من الصلات العلمية والروحية بين علماء شنقيط وعلماء فاس، نرى أن تلك الصلات ظلت متجددة مع الأيام ومتعددة الأوجه، وأنها جديرة بأن تكرس لها أكثر من دراسة علمية جادة، وأن ينفض غبار النسيان عنها وعن مصادرها الدفينة في مراكز التوثيق العامة والخاصة على جانبي الصحراء.

وعسى أن تتحفز همم الناشئة من باحثينا لهذا المجهود العلمي المهم، وفاء لأرواح سلفهم الصالح من العلماء الذين لم يحل نأي الدار، ولا ضيق ذات اليد، أو مصاعب الطريق بينهم وبين طلب العلم وصلة الرحم... والله أعلم.

شكلت الطرق الصوفية أداة حيوية للتواصل الروحي بين الشناقطة والفاسيين خلال القرون الثلاثة الأخيرة. فقد احتفظت لنا المصادر بأسماء عدد من الشخصيات العلمية التي زارت فاس وأخذت الطريقة عن هذا الشيخ أو ذاك من شيوخها، وأخذ فاسيين عن شيوخ شناقطة ارتادوا بلاد المغرب.

الهوامش

1. تمثل ذلك التواصل في اللقاء الذي تم بين الرجلين في القيروان أثناء إياب الأمير الكُدالي من الحج حيث اشتكى للفقيه الفاسي جهل قومه وحاجتهم إلى من يفقّههم في أحكامِ الشرع ويُلزمهم حدودها. فاستجاب أبو عمران لطلب الأمير وأحاله إلى شيخ سوسي سبق وأن تتلمذ عليه، هو وجاج بن زلُّو اللمطي الذي انتدب تلميذه عبد الله بن ياسين لمرافقة الأمير الصنهاجي إلى الصحراء.
2. ذلك في القضاء على زناتة المغراويين في سجلماسة ودرعة، والبجليين الروافض الشيعة في رودانة من بلاد السوس، ونحلة برغواطة وغيرها. ويمكن الرجوع بهذا الخصوص إلى: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية 1420هـ/1999، ص161 - 166.
3. مثل استفتاء مرابطي الصحراء لابن رشد الجد عن ظاهرة غصب المواشي الشائعة فيما بينهم منذ القديم، المنشور مع جوابه في الجزء 9، ص. 543-542 من المعيار المعرب، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، واستفتاء محمد ابن علي اللمتوني للسيوطي في 898هـ المنشور تحت عنوان: "رسائل من بلاد التكرور" في: الحاوي للفتاوي، دار الفكر، بيروت (د. ت.)، ج.1 /285 - 294.
4. من ذلك ما ذكر ابن أبي زرع (الأنيس المطرب، المطبعة الملكية، الرباط، ط.2، 1999 /157) عن إفتائه يحيي بن إبراهيم الكُدالي وغيره من رؤساء اكدالة ولمتونة بمفارقة ما زاد على أربع من زوجاتهم، وما ذكر البكري (المُغرب، ط. ديسلان، الجزائر 1959 /169) وابن عذاري (البيان المغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1983، ط.3، ج. 4 /10 و16) من إفتائه بإقامة الحدِّ على من جاء تائباً من ذنوبه، وأخذ الثلث من الأموال المختلطة لتطيب بذلك...!!
5. ترتيب المدارك...، تحقيق سعيد أحمد أعراب، نشر وزارة

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، مطابع الشويخ "ديسبريس"، تطوان 1983، ج8 /80.

6. عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت1103هـ/1692م)، المعروف بقاضي شنقيط وقاضي البراكنة: عالم بارز، تلقى معارفه في موطنه الأصلي مدينة شنقيط وجارتها الشمالية ودان، وأسس مدرسة بشنقيط أخذ عنه فيها أعلام. وسافر للحجِ والتقى بعدد من علماء المغرب ومصر مثل علي الأجهوري. وقاد هجرة قومه إلى أرض القبلة بسبب الحروب التي دارت بين أفراد قبيلته في شنقيط. وعندما حلَّ بأرض القبلة، نزل على تشمشه فأكرموه ونصبوه للتدريس حيث تخرج من محضرته الذائعة الصيت عدد من العلماء والأدباء، وفيه يقول العلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني:

فعمَّمْ به في إيدوَعْلِ وخصَّصَنْ

بنِي شيخنا قاضي القضاةِ تَجِدْ مَرْعَا

فجدُّهُمُ أُستاذُ تَاشُمْشَ كُلِّهِمْ

قد ارْتَضَعُوا من عِلْمِهِ الْخِلْفَ والضَّرْعَا

ثم رحل عنهم واستقر في إدابلحسن، وظلّ يدرس فيهم إلى أن توفي.

7. السكتاني: هو أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن بن عيسى الرجراجي السكتاني، قاضي الجماعة بمراكش وتارودانت، العالم المحقق النظار، المتبحر في علوم الأصول واللغة والفقه، المشارك في غيرها من الفنون. أخذ بمراكش عن محمد بن أبي القاسم الفلالي، ومبارك بن علي السجتاني، وقرأ بفاس على قاضيها عبد الواحد بن أحمد الحميدي، وعلى مفتيها يحيي بن محمد السراج الرندي، وأحمد بن علي الصنهاجي الزموري، والحسن بن عبد الله بن مسعود الدرعي. وعنه أبو علي اليوسي، وعبد الرحمن التمنرتي، وعبد الله بن يعقوب السملالي، وعلي بن أحمد الرسموكي وغيرهم. له "حواشي على الصغرى"، وشرح صغرى الصغرى، وبعض الفتاوى المجموعة. درّس بمراكش واستقضي في بعض أعمالها، ثم ولي قضاء الجماعة بسوس ودرّس بتارودانت، ثم انتقل بعد اضطراب أحوالها في ثلاثينيات القرن الحادي عشر إلى مراكش حيث وُلي القضاء والتدريس.

8. رجعنا إلى نسخة جامعة الرياض من أجوبة عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني المحفوظة تحت الرقم 2609 المؤلفة من 103 أوراق، حيث وردت تلك الفتوى في الورقتين 9 و10 دون ذكر صاحبها الذي مدتنا به المصادر الشنقيطية. واكتفي جامع أجوبة السكتاني بالقول: "وكتب إليه بعض طلبة شنگيض في مسألتين...".

9. ورد هذا السؤال وجوابه في كتاب: تبيين مخرج الجيم لعبد الله بن أبي بكر التنواجيوي (ت. 1145هـ)، مخطوطة باريس رقم 5481، ص286-289، نقلا عن ددود بن عبد الله: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17-18م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1992 - 1993، ص. 184 - 185.

10. أجوبة عيسى السكتاني، م.س، ص. 10.

11. هذا ما ذهب إليه الأستاذ ددود بن عبد الله: "الحركة الفكرية في بلاد شنقيط..."، ص. 185 معضداً رأيه بقول صاحب الوسيط (ص. 515): "كل أهل شنقيط ينطق بالضاد الموجودة بمصر وغيرها سوى العلامة اللقن محمد فال بن بابا، حفظه الله، فإنه ينطق بها قريبة من الظاء المألوفة، وكان أَحْدَثَ القراءة بهذه الضاد بعد أن رجع من الحجِّ في آخر أيام السلطان مولاي الحسن رحمه الله".

12. ابن رازكَة: هو سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي عبد الله العلوي المعروف بابن رازكه (ت.1144هـ/1730م): عالم شاعر رائد في فن الشعر ببلده. أخذ عن ابن الأعمش، وجده القاضي، وعن أشفغ مينحنه بن مودي مالك (ت.1151هـ/8 - 1739م)، وسافر مرات إلى المغرب الأقصى وأخذ عن بعض أشياخها كأحمد العطار، وأبي مدينه القاضي الأكبر، وأحمد بن يعقوب الولالي. ومن أشهر الآخذين عنه الفقيه سيدي محمد بن موسي بن أيجل الزيدي شيخ البرتلي صاحب فتح الشكور، والحاج إبراهيم العلوي الذي سمى باسمه ابنه سيدي عبد الله. وقد ارتبط ابن رازكَه بصلات وثيقة بأمراء الترارزة في عهده ولاسيما أعلى شنظوره الذي صحبه في رحلته الاستنجادية إلى المغرب في 1719 للاستفادة مما كان

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

له من صلات وثيقة بالبلاط العلوي ولاسيما مع الأمير محمد العالم بن مولاي إسماعيل الذي كان ابن رازكّه أحد شعراء حلقته الأدبية خلال ولايته على تارودانت، ومدحه بقصائد شهيرة، واحتفي الأمير بمقدمه شعراً أكثر من مرة. وحاز مكانة علمية مرموقة في عموم المنطقة وكان على علاقات مميزة مع أترابه من العلماء من أمثال محمد اليدالي. ترجم له البرتلي في فتح الشكور، ص. 164-162 وأشاد كثيراً بمكانته العلمية، وابن الأمين الشنقيطي في الوسيط، ص. 1 - 24، وابن دهاه في تحقيقه ديوان ابن رازكّة (15 - 70)، وابن اباه في الشعر والشعراء، ص. 76، وابن الحسن في الشعر الشقيطي في القرن الثالث عشر، ص. 85، وغيرهم.

13. ابن زكري: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي(ت. 1144هـ)، شيخ الجماعة وعلامة وقته، المقرئ الحافظ المحدث، الفقيه المدرس. أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وأحمد بن العربي بن الحاج، والفقيه المسناوي وغيرهم، وعنه الشيخ محمد بن قاسم كسوس وغيره. من مؤلفاته: حاشية على البخاري، وشرح النصيحة الكافية لزروق، وشرح خريدة السيوطي، وشرح على الصلاة المشيشية، والفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة. وقد أَلَّفَ في مناقبه أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني كتاب: الْعَرْفُ الشَّحْرِي في بعض فضائل ابن زكري.

14. ديوان ابن رازكّه، شرح وتحقيق ودراسة محمد سعيد بن دهاه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986، ص. 146 - 145.

15. أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة 1989 ط4، ص 8 - 9.

16. الخليل النحوي: بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص. 275 - 280.

17. راجع بهذا الخصوص: ديوان الشيخ حمدون بن الحاج السلمي المودع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 383 D.الصفحات 62 - 65، ولاسيما النبذة الملحقة به المسماة: "روض النيلوفر في ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التي هي أعطر من المسك الأذفر"، الصفحات 340 - 341 و375 حيث تضمنت مشاعرات بين المجيدري وصاحب الديوان الذي حلى المجيدري بأوصاف من قبيل "العلامة المجتهد بإطلاق".

18. أحمد بن إدريس الحسني الفاسي: مجموعة أحزاب وأوراد ورسائل، القاهرة-الخرطوم 1985، ص. 203.

19. أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1956، ج. 8 /68.

20. راجع بشأنها: مولاي عبد الرحمن بن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط 1347هـ/1927، ج.1، ص. 211-214.

21. سيدي محمد العربي بن السائح: بغية المستفيد لشرح منية المريد، تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، ط.2 /2005، ص.6.

22. "الفقه المالكي والوحدة المذهبية بين المغرب والصحراء"، ندوة الإمام مالك، فاس 1980، ج. 1(111 - 122)، ص. 120.

23. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2 /1982، ج. 1 /490.

24. المصدر نفسه، ص. 272.

25. فهرس الفهارس والأثبات، م. س.، ص. 388.

26. عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي: معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، دار الكتب العلمية، بيرون 2003، ص. 170، وتحمل ترجمة ماء العينين رقم 70 في هذا المعجم.

27. حياة موريتانيا، الجزء الثاني: الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس 1990، ص. 29.

28. مقدمة طبعة دار الغرب الإسلامي من فتح الشكور، بيروت 1981، ص. 11.

29. د. محمد أمين المؤدب: "جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا"، ضمن: أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
تنسيب : المجاهد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

الصحراء، كلية الآداب تطوان (المغرب) وكلية الدعوة الإسلامية طرابلس (الجماهيرية) 1999 (587-605)، ص. 595.

30. بوطليحية، تحقيق يحيي بن البراء، المكتبة المكية (مكة المكرمة) – مؤسسة الريان (بيروت) 2002، ص. 87-88.

31. نوازل حمى الله التيشيتي، جمع وتحقيق د. محمد المختار ولد السعد، نشر دائرة القضاء بأبو ظبي، دار القلم دمشق 2010، ص. 358 - 359.

32. سيدي محمد العربي الفاسي: هو أبو عبد الله محمد العربي بن يوسف (988 - 1052هـ)، علامة فاس المحقق وحامل لواء العلم بها في عهده. أخذ عن أبي الطيب الزياتي وعن والده أبي المحاسن يوسف الفاسي وأخيه أحمد وعمه عبد الرحمن، وعن الشيخ القصار الذي لازمه وانتفع به وأجازه، وعن المري وابن عمران والسفياني ومحمد القنطري وأبي عبد الله الدلائي وغيرهم. وعنه جماعة منهم بنوه الأربعة عبد الوهاب ويوسف وعبد العزيز وعبد السلام وابن أخيه عبد القادر بن علي الفاسي وابن أخيه محمد بن أحمد الفاسي. من مؤلفاته: فهرسة ترجم فيها لأشياخه، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، ومراصد المعتمد في مقاصد المعتقد، وتلقيح الأذهان بتنقيح البرهان، والطالع المشرق في أفق المنطق، ونظم الأجرومية، وعقد الدرر في نظم نخبة الفكر وشرح عليه، وشرح على القصيدة الشقراطسية وتأليف في حكم شهادة اللفيف، وجواب في مسألة العقوبة بالمال المحال إليه هنا (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 9166 وتضمنه الجزء 10 من المعيار الجديد للوزاني)، ومنظومتان في ألقاب الحديث ومدائح نبوية وأشعار كثيرة. وقد ذهب في رسالته المطولة في المسألة المتحدث عنها هنا إلى أن العقوبة بالمال من الأمور التي لم يرد فيها نص ولا حكم خاص بها، "فلها عمومات تشملها ونظائر وشواهد تستجملها".

33. شرح لامية الزقاق: شرح ميارة الفاسي على لامية الزقاق المشار إليه هنا هو فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق. وقد رجعنا لطبعة المكتبة العصرية منه الصادرة سنة 2008 بتحقيق رشيد البكاري. والعزو المحال إليه وارد بنصه –وبتصرف بسيط في بدايته - في الصفحات 432 - 435 من هذه الطبعة في حديثه عن أنه "على القاضي أن يحدث قضاء بحسب ما أحدث الناس" من فجور خلال شرحه لبيت اللامية القائل:

وكُن ذا تأنٍّ عارفاً بعـــوائـــد

وأحْدِث قضاء للفجور كما جلا.

34. المواق: هو أبو يحيي أبو بكر بن خلف المواق، الفقيه القرطبي المتبحر الذي سكن فاس وولي قضاءها حتى توفي، وصاحب مقالات وتنبيهات في المكاييل والأوزان. وما نسب له في نص التيشيتي وارد حرفيا في الصفحتين 499-500 من شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب للإمام المنجور، دراسة وتحقيق محمد الشيخ محمد الأمين، الرياض، دار عبد الله الشنقيطي (د. ت.). والمنجور نقل تلك الرواية عن "أبي الحسن الصغير عن أبي محمد صالح عن شيخه أبي محمد بن تاغزيزت". وقال المحقق إن وفاة أبي يحيي كانت في سنة 590هـ أو 599هـ، وهذا التاريخ الأخير هو الأرجح لأنه هو المثبت له في كتاب التاريخ العلمي لجامعة القرويين الصادر عن الإيسيسكو، وفي بحث الأستاذ محمد الشريف المعنون: "تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية في القرن السابع الهجري (تقديم وتحقيق)"، مجلة التاريخ العربي، العدد 11، صيف 1999. ترجم لابن خلف المواق صاحب التكملة لكتاب الصلة (ج.1 /180) وقال إنه سمع من أبي إسحاق بن قرقول وأبي عبد الله بن الرمامة وغيرهما "وكان حافظا حافلا في علم الفقه والخلاف فيه، ملازما للتدريس تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك، وله تنبيهات ومقالات مفيدة منها في المكاييل والأوزان، وعني بالحديث على جهة التفقه والتعليل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات وما يعارض".

35. المنجور: هو أبو الحسن أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجوري الفاسي (926-995هـ)، علامة فاس وأحد أواخر علماء المغرب المتبحرين في الفقه وأصوله. وصفه صاحب درة الحجال (ترجمة رقم 186) بأنه "كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ وغيره"، وحلاه أبو سالم العياشي في رحلته (2 /274) ب "حافظ المغرب من المتأخرين وإمام

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
يحيى محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

المحققين". أخذ عن اليسيتني وسقين، وابن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، والزقاق وغيرهم من المغاربة. وعنه جماعة منهم الشيخ البطيوي، وعبد الواحد الرجراجي، وابن أبي نعيم، وإبراهيم الشاوي، وابن أبي العافية، وابن عرضون، وعيسى السكتاني، وعبد الواحد الفلالي، ويوسف الفاسي.. ألف مراقي المجد في آيات السعد، وشرح عقيدة ابن زكري، ومختصر المنهج المنتخب، وقواعد الزقاق المحال إليها هنا، وكبرى السنوسي، وفهرسة حافلة ترجم فيها لمشيخته وختمها بتعداد مؤلفاته التي قال الكتاني في فهرس الفهارس والإثبات (2 /567) بشأنها ما نصه: "وعلى فهرس المنجوري وابن غازي مدار أسانيد أهل المغرب، وهما البرزخ العظيم بين المغاربة والأندلسيين، والمغاربة والمشارقة. وفيها يقول الشهاب أحمد الهشتوكي السوسي:

وفَهْرِسَةُ المنجورِ فيها كفايةٌ

أتت بالمهمِّ دونَ حدٍّ ولا حَصْرِ ".

36. قواعد ميارة: يقصد بها منظومته المسماة: بستان فكر المُهج في تكميل المنهج المؤلفة من 400 بيت من الرجز التي أكمل بها منظومة الزقاق المسماة: المنهج المنتخب في قواعد المذهب، ووضع عليها شرحًا سماه: الروض المبهج في شرح تكميل المنهج. وقد طبع هذا الكتاب طبعة حجرية في 1305هـ، ثم حققه محمد فرج الزايدي مع شرحه تحت عنوان: الروض المبهج بشرح بستان فكر المهج في تكيل المنهج، ونشرته شركة إيلجا بملطة سنة 2001. والبيتان المستشهد بهما واردان في الصفحة 428 من هذه الطبعة في بداية المسألة 136 المعنونة: "كل من فعل فعلاً جائزاً فنشأ عنه تلف نفس أو مال فلا ضمان عليه".

37. نوازل القصري، نسخة النه بن الصفي، الجزء الأول، ص. 27 حيث جاء فيها بهذا الخصوص ما نصه: « وفي نوازل الفاسي: "وأما المقلد فهو الذي معه عقد صحيح جازم تلقاه من غير الرسول وليس معه دليل، إذ لم ينظر قط في الآيات ولا اعتبر المصنوعات وإنما كان في جزيرة أو صحراء منقطعًا عن العمارة وعن مجاورة المسلمين، ولا سمع قط شيئا من أمور الإسلام، فأخبره مخبر بذلك فصدقه وجزم به، وأما من خالط المسلمين، ويعرف الخالق من المخلوق، والرسول من المرسل، ويستدل بالآثار على المؤثر، وبالمصنوعات على كمال القدرة والملك النافذ، فليس بمقلد بل هو مؤمن مستدل"».

38. راجع: المعيار، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج.7، ص. 332 حيث وردت تلك الفتوى ونصها: "وسئل القاضي أبو الحسن سيدي علي محسود رحمه الله عن أرض المساكين المحبسة عليهم، هل يجوز بيعها في مثل هذه السنة لعيشهم لما نزل من الخصاصة والحاجة بالمساكين أم لا؟ فأجاب: بيع أرض المساكين في مثل هذه السنة لعيشهم وحياة أنفسهم أفضل عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم، وقد أمرت ببيع كثير منها في مثل هذه السنة".

39. أورد الونشريسي في نوازل الأحباس (ج.7) عدة فتاوي للخمي في هذا السياق منها تلك الواردة ضمن فتوى اليزناسني في الصفة 291 بشأن حبس المرأة المشروط على ابنتها الذي قال فيه اللخمي إنه "لو نزلت شدة حتى خيف عليها لأنفق عليها منها، لأنه قد جاء أمر يعلم أن الجَدَّةَ أرغب فيه من الأول...".

40. هو أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري (ت1091هـ). من أكابر الفقهاء والمتصوفة في فاس، أخذ عن علماء كثيرين منهم محمد الزيات والشهاب المقري وابن عاشر وأبي عبد الله السوسي. وأخذ عنه كثيرون منهم ابناه محمد وعبد الرحمن، وعيسى الثعالبي، وأبو سالم العياشي، ومحمد ميارة الصغير، والشيخ اليوسي. ومع غزارة علمه لم يتصدر لتآليف خاصة، وإنما صدرت منه أجوبة عن مسائل سئل عنها وجمعها بعض أصحابه. وقد ترجم له ابنه عبد الرحمن في مجلد حافل سماه تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر.

41. هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفهري (1040-1096هـ): أخذ عن والده وعمه أحمد والقاضي ابن سودة وميارة الكبير وعبد الرحمن بن العربي الفاسي وغيرهم من علماء المغرب والمشرق. له تآليف منها: نظم العمل الفاسي الذي أحال إليه نافع، وغاية الوطر في

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
يحي بن محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

المنهل ALMANHAL

علم السير، والقطف الداني في البياني والمعاني، والباهر في اختصار الأشباه والنظائر الخ...

42. نافع بن حبيب بن الزايد: "كشف الالتباس ودفع الوسواس عن قسمة الأسداس"، ضمن كتاب: القبيلة والبني القبلية بين الثبات والتغير من خلال مسألة العاقلة، تقديم وتحقيق د. محمد المختار ولد السعد ود. يحيي بن البراء (قيد النشر)، ص. 68 - 69.

43. عِدَّةُ الأَقْرَاء: الْقَرْءُ: الحيض والطهر، جمعه أقراء وقُرُوء وأَقْرُؤٌ، وقيل جمع الطهر: قُرُوءٌ، وجمع الحيض أَقْرَاءٌ. وأَقْرَأَتِ المرأة إذا حاضت أو طهرت. وعليه تكون عِدَّةُ الأَقْرَاء هي ثلاثة قُروءٍ (طهرات).

44. أنظر: شرح نظم العمليات للفاسي ص.19 من مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي المودعة تحت رقم2797، وتحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس لأبي عيسى المهدي الوزاني الفاسي، تقديم وإعداد الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 2001، ص. 115.

45. الآيتان 6 و7 من سورة البقرة.

46. حسن الصادقي: "مخطوطات في موضوع فاس وإفريقيا" ضمن: ندوة فاس وإفريقيا، العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية، معهد الدراسات الإفريقية (الرباط) وكلية الآداب والعلوم الإنسانية (سايس- فاس)، الطبعة الأولى 1996 (13 - 26)، ص. 14 - 17.

47. يقصد الكتاني كتاب الفقيه والشيخ الصوفي الكبير محمد الأمين بن أحمد بن محمدي العلوي (ت1383هـ) في مناقب والده، واسمه الصحيح: نزهة الغياب والجلاس في مناقب شيخنا ووالدنا أبي العباس.

48. الصادقي: "مخطوطات في موضوع فاس وإفريقيا"، م. س.، ص. 17.

49. رحلة المنى والمنة (مخطوط)، ص. 148.

50. راجع بهذا الخصوص: ذ. أحمد الأزمي: "دور الزاوية التجانية في تمتين الروابط بين مدينة فاس وإفريقيا جنوب الصحراء"، ندوة فاس وإفريقيا، م. س.، (241 - 255)، ص.251 - 253، وأحال إلى رقم هذه الرسالة في مخطوطات المكتبة الوطنية الفرنسية:

B.N.P. Manuscrit 5884. F 115.

51. نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين بن الطالب اخيار بن الطالب محمد بن اجيه المختار القلقمي (ت.1286هـ).

52. نسبة إلى الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت.1226هـ) الذي أحيى الطريقة القادرية البكائية (نسبة لسيدي أحمد البكاي الكنتي المتوفي 920هـ) وأعطى للطريقة القادرية في المنطقة بعدا اجتماعيا وسياسياً ومجالياً كبيراً.

53. راجع: الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، م. س.، ج. 1 /516.

54. المصدر نفسه، ج. 2 /936.

55. كانت الطريقة القادرية منتشرة في المغرب ولها أتباع ومريدون، ودخلها أفراد من المخزن العلوي حسبما جاء في مخطوط الكواكب الدرية في بيان أشياخ السلسلة المختارية القادرية لمحمد بن محمد بن عبد الله بن ياسين المراكشي (ت1331هـ)، مخطوطات مؤسسة علال الفاسي، رقم 292.

56. فهرس الفهارس والأثبات، م. س.، ج. 2 /781.

57. معجم الشيوخ، م. س، ص235 ضمن ترجمةالفضيل العلوي.

58. رسائل أحمد البكاي الكنتي إلى أهل فاس، مؤسسة علال الفاسي (م.ع.ف)، ع147، ومخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1071 مكرر، و"الجواب المسكت" لأكنسوس، مؤسسة علال الفاسي: ع248، وجواب البكاي: "فتح القدوس في الرد على أكنسوس"، ك2455.

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

الصلات العلمية والروحية بين علماء شنقيط وعلماء فاس في عهد الدولة العلوية

المستشار الشيخ محمد الأمين بن محمد بيب

رئيس لجنة الفتوى بدائرة القضاء أبو ظبي – الإمارات العربية المتحدة.

لقد نسج التاريخ والجغرافيا وشائج قربى وروابط اتصال وثيقة ومتعددة الأوجه بين بلاد شنقيط والمغرب الأقصى بوجه عام، ومناطقه الجنوبية بوجه خاص، ولاسيما على الصعيدين الثقافي والروحي. وإذا كان مركز ثقل تلك العلاقات قد تركز بالأساس في حواضر مناطق التماس بين المنطقتين، فإن فاس وأحوازها لم تكن بمنأى عن ذلك التواصل الفكري الثري منذ أن شُيِّدت بها جامعة القرويين التي انبثقت من أحضان جامعهم الذي بنته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهرية القيروانية سنة 245هـ، واتسعت حلقات الدارسين به حتى تحول إلى جامعة في عهد المرابطين، وتوسع أكثر في العهد المريني. ومنذ قيام تلك الجامعة، تحولت فاس إلى مركز إشعاع علمي مهم في المنطقة، وأصبح هنالك نوع من الترابط بين الدور العلمي الريادي لجامعة القرويين وبين الإشعاع المعرفي للوسط الآوي لها المتمثل في مدينة فاس. وبذا يكون الحديث عن علماء فاس حديثاً عن علماء القرويين بوصفهم جزءا من المنظومة المعرفية العامة لهذه المدينة. ومن هذا المنطلق كان

الصلات العلمية و الروحية بين علماء شنقيط و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismāʾīl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-ʿAqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

اختيارنا لعنوان هذه المقالة التي تتناول بعض جوانب التفاعل التاريخي بين علماء شنقيط وعلماء فاس الضارب الجذور في التاريخ.

ويكفي في هذا الصدد، الإشارة إلى البعد الرمزي للتواصل بين أمير صنهاجة الصحراء يحيى بن إبراهيم الكُدالي وأبي عمران الفاسي (365 – 430هـ)[1] الذي تمخضت عنه حركة المرابطين التي أزالت الحواجز البدعية[2] بين المنطقتين، ووحدتهما في مذهب سني واحد إلى اليوم.

غير أن تعاظم شأن دولة المرابطين في الشمال، وتصديها لحروب الاسترجاع في الأندلس، وإخضاع أمراء الطوائف وتوحيد العدوتين، وما تولد عن ذلك كله من تشجيع هجرة النخبة الصحراوية نحو الشمال؛ كلها عوامل تساعد في تفسير صدود المؤرخين العرب عن الصحراء وأهلها صدوداً ترك فراغاً وثائقيا كبيراً ألقى بظلاله الكثيفة على أخبار المنطقة ردحاً طويلا من الزمن، فحال دون تتبع مظاهر التواصل الفكري بين المنطقتين على مدى قرون عديدة.

فعلى الرغم من وجود مؤشرات كثيرة على حدوث هجرة معاكسة من المغرب إلى الصحراء عقب إطاحة الموحدين بالمرابطين، وانتعاش تيار الحركة البشرية والتواصل الثقافي خلال عهدي المرينيين والسعديين؛ فإننا لا نملك معطيات ملموسة عن التواصل العلمي والروحي قبل العهد العلوي. ومن هذا المنطلق، حددنا للإطار الزمني لهذا العرض بعهد الدولة العلوية الذي نتوفر فيه على مصادر عن بعض أوجه ذلك التواصل.

أ.مظاهر التواصل العلمي: تعددت أوجه هذا التواصل المعرفي خلال القرون الأربعة الماضية، وسيقتصر حديثنا عنه على عمليات الاستفتاء والإلغاز العلمي، والأخذ والعطاء المباشر، وحضور المؤلفات الفاسية كمرجع أساسي لدى العلماء الشناقطة، وحضور المؤلفات الشنقيطية في فاس.

الاستفتاءات والألغاز العلمية: اعتاد الشناقطة على الاستفتاء عما يعِنُّ لهم من استشكالات معرفية منذ وقت مبكر -نسبياً- من اعتناقهم الإسلام والحصول على حظ من الثقافة العربية الإسلامية. وكانت تلك الاستفتاءات موجهة بالأساس إلى علماء الغرب الإسلامي[3]، إذ لا تمدنا المصادر بفتاوى لمفتين محليين قبل القرن العاشر الهجري، إذا ما استثنينا ما أوردته الكتب الإخبارية عن إفتاءات كان يصدرها شفهياً ابن ياسين[4]، وما ذكر القاضي عياض[5] من أن لمتاد بن بلين اللمتوني «كان من عبادهم وفقهائهم... والمثل يضرب بفتياه في بلاد الصحراء...».

ولعلّ من أقدم الاستفتاءات الموجهة إلى أحد خريجي مدرسة فاس وأصيليها، السؤال الذي بعث به الفقيه عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت1103هـ)[6]، المعروف بالقاضي، إلى قاضي مُرّاكش ومفتيها أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني (ت1062هـ)[7] يستفتيه فيه عن مسألتين إحداهما في علم الأصوات، والأخرى تتعلق بـ"الجلد بعد السلخ وقبل الدبغ هل يخرج بذلك عن

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

الطعام أم لا»؟

ونكتفي هنا بمقاطع من السؤال والجواب في مسألة علم الأصوات كما وردت في أجوبة السكتاني المجموعة[8]، الأكثر تفصيلا من رواية التنواجيوي[9] لهذا الاستفتاء. فبعد براعة الاستهلال المعهودة، جاء في الاستفتاء ما نصه: «ما قولكم، أيدكم الله وحفظكم، في مسألة شاع في بلاد شنكَيض وأحوازها واشتهر عند العامة والخاصة منهم صفتها وأمرها، وهي أن تلك البلاد شأنهم حين ما يتلون القرآن العزيز أن يُبدِّلوا الضادَ لامًا في جميع قراءتهم، في الصلاة وغيرها، فاتحة كانت أو سواها من السور، بحيث يقول التالي مثلا إذا قرأ قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ عوضاً عن ضاداتها: «والله فلَّل بعلكم على بعل»، أو تلا قوله تعالى أيضا: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، قال عوضا عن ذلك أيضا: «غير المغلوب عليهم ولا اللالين» بلامات مفخمات في جميع ذلك؛ وليس ذلك من غلبة العجمة، وإنما هو عمد وقصد لذلك. ولو شاءوا أن ينطقوا بالضاد على صفتها لنطقوا بها، لكنه زعم قارؤها أن هذه القراءة هي عين الصواب ومخطئه على العكس يستحق عنده على قراءته العقاب، واعتقد ذلك ديناً قيماً وصراطا مستقيماً. فهل، حفظكم الله، قارئ هذه القراءة على الصواب كما زعم أم لا؟ وعلى الثاني، فهل يسري الفساد إلى صلاته فيعيدها أبداً أم لا؟ وهل مُعْتَقِدُ ذلك يُحكم بكفره أم لا؟ وعلى الكفر، فهل يُسْتَتَابُ اسْتِتَابةَ الكافر، فإن تاب وإلا قُتل؟ وما ترى، حفظكم الله، إن تمالأ عليه أهل قطر وامتنعوا من الرجوع عنه لاعتقادهم صواب ما هم عليه، فهل يُقاتلون على ذلك أم لا؟ بيِّن لنا الحُكم الشرْعِيَّ مَعْزُوًّا لقائله، وأجب لنا فصلاً فصلاً، كتب الله لكم السعادة الدائمة».

وقد ردَّ السكتاني على مختلف هذه الاستشكالات مبيناً خطأ تلك القراءة، وفساد دين صاحبها فضلا عن بطلان صلاته، وكفَّر من أصرَّ على تلك القراءة، فقال: «...والذي أراه وأدين به أن قارئ هذه القراءة حائد في قراءته عن الصواب، محرف لكلام القرآن عن مواضعه... كيف والقرآن هو اللفظ المنزل على محمد ﷺ، المتعبد بقراءته، وهو متواتر مجمع عليه، معلوم من الدين، فأنَّى يكون ما ارتكبه هذا القارئ في قراءته وتحريفه بجرأته صواباً، وما عليه المسلمون في قراءة الضاد وجعله ضادا دون تغيره إلى اللام خطأ.. وأما قول السائل: فهل يسري الفساد إلى صلاته أم لا؟ فجوابه أن الفساد يسري إلى دينه فضلا عن صلاته.. فإن قلت ما وجه فساد صلاته على تقدير الإخلال في دينه؟ قلت وجهه أن ما أتي به ليس بقرآن، فهو مُخل بركن من أركان صلاته وهو قراءة الفاتحة لاستحالتها على الضاد التي جرى فيه التغيير والتبديل في قراءة هذا القارئ، ومخل بشرطها وهو ترك الكلام في غير إصلاحها لأنه بتبديله متكلم فيها بما ليس بقرآن عمداً في غير إصلاح. وهذا المعنى مأخوذ من قول الشيخ المازري

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

رحمه الله عند قوله في المدونة: «ولا يُصلي من يُحسنُ القراءة خلف من لا يحسنها، وهو أشد من إمام ترك القراءة والإعادة في ذلك كله أبدًا...لأنَّ ما أتى به من لا يحسن القراءة ليس بقرآن، فهو تارك للقراءة متكلم. فلذلك قال: «وهو أشد من إمام ترك القراءة». انتهى من شرح قواعد أبي الفضل عياض لأبي العباس القباب رحمه الله... وأما قوله: «فهل مُعْتَقِدُ ذلك كافر أم لا»؟ فجوابه أنه بتبديله وتغييره للقرآن على الوجه الموصوف، يحكم بكفره لإيذان فعله باستخفافه به وتهاونه به... كإلقاء مصحف في مرحاض بل هو أشدُّ منه لأنه غيّر حقيقتَهُ، بخلاف من ألْقَى المصحف فإنه ما غيّر الحقيقةَ، ثُمَّ تغيُّرُ الحقيقة يُؤدِّي إلى تغْيِيرِ المعنى وتحريفه، لأنَّ الألفاظ قوالب المعاني.. وأما على قوله: «وعلى الكفر، فهل يستتاب استتابة الكافر»؟ فجوابه أنه إن كان مظهراً لذلك استتيب على القاعدة في المرتد، وإن كان يُخْفِي ذلك فهو زندقة والخلاف في استتابة الزنديق، والمشهور عدم استتابته. وأما قوله: «وإن تمالأ عليه أهل قطر فامتنعوا من الرجوع عنه لاعتقادهم صواب ما هم عليه»، فجوابه أنهم كفار، وحكمهم كحكمهم يقاتلون ويجاهدون بعد الاستطاعة»[10].

ويبدو أن هذا الجواب كان له أثره في تخلي القوم عن تلك الطريقة في نطق الضاد التي «لم يعد لها أثرٌ في العصور المتأخرة»[11].

وأَلْغَزَ حفيده ابن رازكَه[12] لعلماء فاس، ولابن زكري[13] منهم خاصة، في الإظهار في محلّ الإضمار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ (يوسف: 76)، فقال (طويل):

شُـيُوخَ الْبَيَانِ الذَّائِقِـينَ حلاوةً
من العِلْمِ لَمْ تُطْعَمْ لِغَيْرِ ذَوِيهِ
سَلامٌ مِنَ الله السَّـلَامَ ورحمـةٌ
يَعُمَّانِكُمْ مَنْ خَامِـلٍ ونَبِـيهِ
سُؤَالُ غَرِيبٍ دُونَ شَنْجِيطَ أَرْضِهِ
مِـنَ الْبُعْدِ تِيهٌ يَتَّصِلْنَ بِتِيهِ
إِذَا شَبَّهَ الْهَادِي بِها وَجْهَ مُرْشِدٍ
تَشَابَهَ فِي عَيْنَيْهِ وَجْهُ مُتِـيهِ
قِرَاهُ لَدَيْكُم أهـلَ فَاسٍ جَـوَابُهُ
بِنَصِّ جَوَابٍ فِي الْبَيَانِ وَجِيهِ
سَـمَا بِكُـمُ عِلْمُ البـيانِ وَحَقُّهُ
إذا ما هَـوَى ظَنٌّ بِمُخْتَلِجِيهِ
أُسَائِلُكُمْ مَا سِـرُّ إظْهَـارِ رَبِّـنَا
تَبَارَكَ مَجْدًا «مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ»
فَلَمْ يَأتِ عَنْهُ «مِنْهُ» أو «مِنْ وِعَائِهِ»
لأَمْرٍ دَقِـيقٍ جَـلَّ ثَمَّ يَخِـيهِ
فإنْ تَكُ أَسْـرَارُ الْمَعَانِي خفـيَّةً
فمـرآتُها أفكـارُ كلِّ نَبِـيهِ
وأَنْتَ ابْنَ زُكْـرِيٍّ إِمَامٌ مُحَقِّـقٌ
تَفَـرَّدْتَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ شَبِيهِ
إذا غُصْتَ في بحرٍ حَصَلْتَ بدُرِّهِ
وخَلَّيْتَ عنْ سَفْسَافِـهِ وَرَدِيهِ
يَمُـدُّكَ فِي إِتْقَـانِ عِلْمٍ تَبُـثُّهُ
قِـيَاسٌ أُصُـولِيٌّ ونَـصٌّ فَقِيهِ
وَقَاكَ الَّذِي أَبْدَاكَ كَالنَّجْمِ يَتَّقِي
بِهِ الْغَيَّ مَنْ يَبْغِي الْهُدَى وَيَعِيهِ[14].

ولم تحتفظ الذاكرة الشنقيطية بجواب لهذا اللغز من علماء فاس ولا من ابن زكري –الذي يبدو من نص ابن رازكَه أنه كان عارفاً به

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

وبمكانته العلمية- بل تقول المصادر إن حلَّ اللغز جاء على لسان صديقه العلامة محمد بن المختار بن محمد سعيد اليدالي (ت1166 هـ) الذي صرح في جوابه بأن أهل فاس لم يجيبوا على اللغز، فقال من قصيدة طويل:

سـؤال بليغ في البـيان نبـيه
أديب من أرباب الهدى وذويـهِ
عليه مدار العصر في العلم سيما
علوم المعاني وهو قطب رحيه
سـبوق لدى قيد الشوارد راكب
من الفهم متنيْ لاحق ووجـيه
عن السر في إتيان ربي بظاهـرٍ
مكان ضمير «في وعاء أخيه»
مُعَمَّى قد أَعْيَى أهل فاس وغيرهم
فَكُـنَّا بحمـد الله مفتتحـيهِ
وكلَّفـني نصـحُ البريـة فَكَّـهُ
فَأَعْـظِمْ بما قد كان كَلَّفَنِـيهِ
فقلتُ وبالله الصَّـوابُ مُجَـاوِباً
لَه بقـياسٍ في الأصول وجيه
ولكـنه صعْبُ المدارك مُعْـسِرٌ
على ضُعَـفَاءِ الفهم مُنْتَقِصِيهِ
فهـذا بحـمد الله إيضاح لُغْـزِهِ
مسـاوٍ له في بحره ورويـهِ
فلو قال فرضاً ربنا «من وعائـه»
فذلـكم بعـد التفـكر فـيه
يؤدي إلى عود الضميرِ ليوسفٍ
فيفـسد معـناه لمختـبريـه
لأنّ الضميرَ في الصناعة عائد
لأقـرب مذكـور هـناك يليه
وإن قال «مـنه» اختلّ أيضًا لأنه
يـؤدي لعـود مضمر لأخيه
فَتُنْزَعُ منه الصاع لا من وعائه
وتأنـف من ذا نفس كل نزيه
لما في انتـزاع من أذًى ومهانةٍ
ولم يـرد الرحمن ذا بنبـيهِ[15]

وتكاثر هذا النوع من التواصل في العصور اللاحقة حيث أورد صاحب المنارة والرباط[16] -مثلا- سبع حالات من هذا النوع لأربعة علماء شناقطة بارزين وجهوا ألغازاً إلى علماء فاس، وأورد أجوبة بعض علماء فاس عنها لم يحددهم بالاسم. وتناولت تلك الألغاز قضايا فقهية تتعلق بالعمرى ووراثته، ونساء أهل البيت اللواتي لا يمنعهن الحيض - على رأي بعض الفقهاء – من دخول المسجد، وما يبطل الصداق في عقد النكاح الصحيح، وإشكالات فقهية أخرى في التركة والنكاح. وكان حظُّ اللغة من تلك الألغاز لغزًا واحدًا يتعلق بالمصدر الذي لا يُثَنَّى ولا يجمع ولا يؤنث. ونكتفي من تلك النماذج بأبيات محمد عثمان بن أغشممت المجلسي (ق 13 هـ) التي قالها لما قدم فاس، مُلغزاً لأهل مدارسها في تركة العمرى التي ترجع إلى من أعمرها لا إلى ورثة المعمر عليه، ودخول نساء أهل البيت الحَيَّض وأهله الجُنُبِ المسجدَ، وعدم تثنية وجمع أو تأنيث المصدر:

إلى مدارسِ فـاسَ الْغُرِّ أسـئلةٌ
عـيالِمِ أهـل الحفْـظِ والمَلَكـه
عن حَاضِرٍ قَسْمَ متروكٍ لِوَالـدِهِ
صار البكاءُ لهُ حَظاً من التركـهْ

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

ومَا بِهِ مَانِـعٌ في القـسم يمنعهُ
وحاز الأبعد عـنه كل ما تركـهْ
وعنْ طَوَامِيتَ لا يُمْنَعْنَ أو جُنُبٍ
من مسجدٍ وفروع الفقه مُشْتبكـهْ
واسم في الإفراد والتذكير تذكُرُهُ
وفرعَ ذيـن بنـوعٍ واحدٍ سلكـهْ
أريدُ منكم جـواباً رائـقاً حسناً
نظْمًا وإلا فما أعطـتكم الشبكـهْ

وقول أحمد بن محمد بن محمد سالم المجلسي (1339–1238 هـ):

يا أهل فاس الغر لغـز سياقه
بنص خليل جا وفيه مساقـه
.....
.....
أسائل ما عقد صحيح صداقه
قـد أبطله قبل البـناء فراقـه
وآخر فيه أكمل المهر كلـه
على الزوج من قبل البناء طلاقه

فأجابه أحد علماء فاس، لم يحدده المصدر، بقوله:

فمن وهبت قـبل البناء صَدَاقَها
لزوج وذاك الزوج حم فراقـه
وليس لها نصف بتطليق زوجها
فما شطر المأخوذ منه طلاقـه
وواهـبة من مالـها لحليـلها
قبيل البنا ما سيق منها صداقـه
يعيد لها المأخوذ منه جميـعه
جـواب بحـمد الله تم اتساقـه.

ولم يقتصر التواصل على الاستفتاء والألغاز، وإنما تم التواصل المباشر أخذاً وعطاءً، حيث احتفظت لنا المصادر بأسماء شناقطة أخذوا مباشرة عن علماء فاسيين، وفاسيين أخذوا عن علماء شناقطة وفدوا إلى المغرب.

الأخذ والعطاء المباشر:

اعتاد أصحاب الهمم العالية من خريجي المحاضر الشنقيطية في القرون الماضية إعمال الرحلة إلى المغرب والمشرق العربيين لاستكمال زادهم العلمي، والحصول على إجازات عالية السند -ما أمكن - وأداء فريضة الحج. وكانت الحواضر العلمية في المغرب الأقصى أول محط رحالهم ومركز جذبهم الأساسي، وخصوصاً سجلماسة وتارودانت وتامكروت ومُرّاكش لاعتبارات جغرافية وتاريخية وجيهة، وإن كانت فاس ومنارتها العلمية جامعة القرويين قد نالت حظها من ذلك الإقبال لما لها من إشعاع علمي ومكانة كبيرة.

فقد ارتاد العديد من علماء شنقيط الحواضر العلمية في المغرب الأقصى منذ أن ازداد الإقبال على الأسانيد المغربية ابتداء من القرن الحادى عشر الهجري. وقد احتفظت الذاكرة الشنقيطية بأسماء بعضهم، وأسماء من أخذوا عنه ومن أخذ عنهم، إلى درجة أن الأسانيد في بعض العلوم تمر مباشرة بأحد علماء فاس كما هي حال أسانيد القراء في المنطقة التي يمر بعضها مباشرة بقارئ المغرب الشهير عبد الرحمن بن القاضي الفاسي (ت1082 هـ)، وأغلبها بتلميذه علامة سجلماسة أحمد الحبيب اللمطي (ت. 1165 هـ)، فسيدى عبد الله بن أبي بكر التنواجيوي الشنجيطي. وممن أخذوا مباشرة عن علماء فاس أو أخذ

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

هؤلاء عنهم، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1 – **محمد بن حبيب الله بن الفاضل اليعقوبي الشمشوي** (ت1204هـ) الملقب المجيدري الذي أعمل الرحلة -بعد أن تضلع من علوم بلده- إلى حواضر المغرب الأقصى ومصر والحجاز والتقى خلال رحلته بعلماء أجلاء مثل مرتضى الزبيدي (ت205هـ) الذي يذكر أنه شاركه في تصحيح معجمه تاج العروس، وصالح الفلاني (ت1218هـ) الذي نوَّه بحفظه. وكانت له في مدينة فاس صلات وثيقة بالسلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله (ت1204هـ)، وشارك في المناظرات التي كان هذا السلطان يجمع لها الفقهاء ويوجه اهتمامهم نحوها، وزوده بمكتبة كبيرة في رحلة العودة إلى بلاده. وارتبط المجيدري خلال تلك الإقامة بالعديد من رجال الفكر والمشايخ من أمثال حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلميّ الفاسي (ت. 1232هـ)[17] والشيخ عبد الوهاب التازي (ت1206هـ) الذي جدد عليه أوراده الصوفية. ومن أشهر الآخذين عن المجيدري في فاس أحمد بن إدريس الحسني (ت1253هـ)[18] الذي أصبح ذا شأن عظيم. وقد كان لتلك المناظرات والصلات العلمية أثرها البالغ في توجه المجيدري إلى العودة إلى الأصول ونبذ فقه الفروع وعلم الكلام الأشعري التي كانت صدًى لنزعة السلطان سيدي محمد بن عبد الله في المغرب الداعية إلى العودة إلى الأصول الأولى للإسلام و«الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل»[19]، وعمل بجهد واجتهاد من أجلها حتى صاغ منهجها التعليمي في رسالته التوجيهية إلى شيخ الجماعة التاودي سنة 1203هـ[20]. وقد أحدثت دعوة المجيدري ردود فعل قوية لدى علماء قومه الذين بدَّعَهُ أكثرهم، ودخل في مناظرات فكرية حامية الوطيس مع بعضهم.

اعتاد أصحاب الهمم العالية من خريجي المحاضر الشنقيطية في القرون الماضية إعمال الرحلة إلى المغرب والمشرق العربيين لاستكمال زادهم العلمي، والحصول على إجازات عالية السند -ما أمكن- وأداء فريضة الحج. وكانت الحواضر العلمية في المغرب الأقصى أول محط رحالهم ومركز جذبهم الأساسي، وخصوصاً سجلماسة وتارودانت وتامكروت ومُرّاكش لاعتبارات جغرافية وتاريخية وجيهة، وإن كانت فاس ومنارتها العلمية جامعة القرويين قد نالت حظها من ذلك الإقبال لما لها من إشعاع علمي ومكانة كبيرة.

2 – **سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام العلوي** (ت1233هـ) الذي أخذ عن كبار علماء بلاده، وسافر لأداء فريضة الحج وللتعلم، فلقي علماء الحجاز ومصر وذاكرهم. ومكث في فاس ست سنوات ينهل من علوم شيوخها ويبذل ما لديه من علوم، وذاكر السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فأعجب به وأكرمه. وقد أخذ سيدي عبد الله بوجه خاص عن كبار شيوخ فاس مثل محمد بن الحسين البناني (ت1194هـ)، ومحمد التَّاوُدِي بن سودة (ت1209هـ)، وعمر بن عبد الله الفاسي

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

(ت1188 هـ)، وعاد منها سنة 1189 هـ بعلم وافر وخزانة كتب كبيرة. وقد أسس محضرة ذائعة الصيت تخرج منها الكثير من فطاحلة العلماء، وانتصب للتأليف والقضاء والإفتاء في منطقته تكَانت، وأصبحت مؤلفاته في علم الأصول والبيان ومصطلح الحديث مقررة في معظم المحاضر الشنقيطية.

وتحدث ابن طوير الجنة (الرحلة، ص43) عن مرور سنده في الفقه بهؤلاء الأشياخ الفاسيين حين قال في معرض حديثه عن فترة مقامه في فاس: «وجئنا يوماً إلى جامع القرويين، فوجدنا فقيهاً يدرس في الأكرية من مختصر خليل، وسلمت عليه ومعي جماعة من حجاجنا، فتجارينا في الحديث إلى أن بلغنا التعريف بشيخي، بعد أن سألوني عنه، فأخبرته أنه قرأ العلوم بفاس وشيخاه في ذلك الوقت: سيدي محمد البناني صاحب الحاشية على الزرقاني، وسيدي محمد التاودي بن سودة رضي الله عنهما، فقال لي الفقيه المدرس: أنت بضعة منَّا، أَوَّلُكَ منَّا وآخِرُكَ منَّا».

3 – عبد الرحمن بن أحمد الشنجيطي (ت1224 هـ) الذي وصفه ابن السائح[21] ب«العلامة المحقق شيخ مشايخ العلوم النقليات والعقليات، المبرز على زمانه في تحقيق الجزئيات منها والكليات». وقال عبد العزيز بنعبد الله[22] إنه من خريجي القرويين و«أنه كان شيخ الجماعة بفاس مدة إقامته بها». وذكر الكتاني في فهرسه[23] أن «عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن الفاسي، العلامة المحدث الصوفي أبو محمد، شارح فاتحة البخاري وخاتمته وغير ذلك... ساق حديث الأولوية عن أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الشنكَيطي [هذا] المتوفى بفاس سنة 1224، عن الفلاني بشرطه»، وأن لديه تلك الإجازة. كما عُدَّ هذا الشنكَيطي من جملة شيوخ ومُجيزي التهامي بن رحمون الفاسي (ت1263 هـ)[24]، الذي أجازه عالمٌ شنقيطي آخر هو الطالب أحمد بن طوير الجنة الوداني (ت1265 هـ) خلال رحلته الشهيرة إلى الحج (1245 – 1250 هـ).

4 – الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل القلقمي (ت1328 هـ) الذي أجاز كُلاً من صاحب المعيار الجديد أبي عيسى المهدي الوزاني مولداً، الفاسي تعلماً وسكناً ووفاةً (ت1342 هـ)، وابن الخياط الفاسي (ت1343 هـ) الذي قال عنه عبد الحي الكتاني[25] إنه «آخر من بقي بفاس من وعاة الفقه المالكي وحَمَلَتِهِ على كاهلهم، العارفين بأصوله وفروعه، الخائضين فيه أكبر وأوسع خوض عرف عن المتأخرين»، وعبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي (ت1328 هـ) الذي ترجم للشيخ ماء العينين في فهرسته ترجمة مطولة وقال في روايته عنه: «... لما وصل إلى فاس أخيراً توجهت إليه زائراً فاستدعيت منه الإجازة العامة، فأجازني لفظاً رحمه الله بكل ما له»[26]...

5 – محمد حبيب الله بن سيدي عبد الله بن مايابي الجكني (ت1346 هـ) صاحب زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، الذي أخذ عن كبار علماء بلده وعن محمد بن جعفر الكتاني (ت1345 هـ) بعض معارفه في المنطق وعلم الحديث والأصول. وحصلت

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

بينه معرفة مع السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي طلب منه الإقامة معه في طنجة لأخذ العلم عنه، فأقام بها مدة قبل أن يهاجر إلى المدينة المنورة.

ويبدو أن صلة الرجل بعلماء فاس لم تنقطع، وأن عملية الأخذ والعطاء بين الشناقطة والفاسيين كانت سنة متبعة بدليل رسالته إلى عبد الحي الكتاني في 1342هـ التي أوردها حرفيا في فرس الفهارس والأثبات (ج.1 / 53 – 57)، بل كان ذلك سنة متبعة بين علماء المسلمين عموما كما قال الكتاني في تمهيده لهذه الرسالة حين تحدث عن «ما كان بين المسلمين قديما من سني الاتصالات ووافر الروابط وكبير الصلات، وجعل الكل تقليد جيده بعد الحج والزيارة بواسع الرواية، والتعزز بعز الإجازة، أفخر المقاصد وأبهجها، وأوسع المتاجر وأربحها، مما يبرهن لك عن مقدار تقدمهم وارتقائهم، وكبير عزهم وعظيم استغنائهم... وهنا أسوق لك نص استدعاء الشيخ محمد حبيب الله ليكون الجواب مطابقا وليأتي الكلام متناسقا»:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إنه السلام التام، وغاية التحية الطيبة بالدوام، من عبد الله محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابا الجكني نسبا، الشنكَيطي إقليما، المدني مهاجراً، المكي وطناً، خادم تدريس العلم بالمسجد الحرام، تقبل الله أعماله، إلى العالم العلامة المحدث الأثري الحافظ الحجة الناقد ذي المآثر العديدة والتآليف النافعة المفيدة الشيخ عبد الحي الكتاني، جمعنا الله وإياه في دار التهاني والأماني؛ أوجبه أنه لما كان العلم من بين ذويه أعظم رابطة، وقد تعارفت بالسيد السند سيدي محمد بن سيدي جعفر الكتاني ابن عمكم الشهير وانتفعت به، وأخذت منه إجازات عديدة، دعاني ذلك إلى محبة جميع هذه العائلة الكريمة. ولما كنتَ واسطة عقدها في الإسناد، وسائر العلوم التي عليها في الديانة الاعتماد، أحببت أن أستجيزكم بالمراسلة، وأبين صورة طلبي لهذه الإجازة، فهي أني أحب أن أجمع ثبتا متصلا بجميع الأثبات المعروفة في الدنيا على طريق الاختصار، أحب الإعانة من جنابكم بإجازة لي منكم جامعة لما في حفظكم مما اتصلت به أسانيدكم من الأثبات المعبر عنها عند المغاربة بالفهارس، فإني رأيت رسالتكم في البسملة المطبوعة بالأميرية، وقد ذكر معها أسماء بعض مصنفاتكم الحسان، ومن جملتها ثبت لكم، ولاشك أنه يكون جامعاً لكثير من مرادي، فأحب أن ترسلوا لي نسخة منه عليها خطكم الشريف بإجازتكم لي بجميع ما اشتملت فهرستكم المعبر عنها بالثبت، وأخصر من ذلك أن تكتبوا لي إجازة صورتها: ثبت فلان أرويه عن فلان، عن فلان، عن فلان، عن مؤلفه، وقد أجزتكم بجميع ما اشتمل عليه، حتى تجمعوا لي ما أمكنكم من أثبات العلماء القدماء والمتأخرين، وإن تداخلت فلا ضرر بذلك التكرار، فإني أريد به الإعانة على هذا المقصد الشريف، وأحب أن تكون لكم فيه معونة. وقد أرسلت من مكة لسيدي محمد بن سيدي جعفر فكتب لي اتصال إسناده بنحو خمسة وخمسين ثبتا، وقد جمعت أنا قبله نحو السبعين، فجميع ما أفادني فيه زيادة نحو

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

سبعة إثبات، وقد فرحت بها جدا ونفعتني في مرادي غاية، سواء المكرر مع ما عندي وغيره، ونحو هذا أو أزيد أرجوه منكم هكذا : ثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن مؤلفه، وقد أجزتكم بما فيه، وثبت فلان أرويه عن فلان عن فلان عن فلان عن مؤلفه بجميع ما فيه، وقد أجزتكم بذلك كله، وهكذا إلى أن تأتوا على ما أمكنكم من الأثبات. ولا شك أنكم جامعون لأسانيد المشارقة والمغاربة وترسلوا لي هذه الإجازة النافعة، ولم أطلبها من غيركم لحسن ظني بكم في هذا المعنى وغيره، وبالأسف إني لم أقابلكم قطّ لأن زمن أخي الشيخ محمد الخضر بفاس كنت أنا بمراكش، ومنه انتقلت للمدينة المنورة وتأخرت بطنجة أشهرًا قلائل عنها، لكن قد قال القائل:

إنا على التنائي والتفرق
لنلتقي بالذكر إن لم نلتق

وترجمتكم وفضائلكم عندي محفوظة، وقد أرسلت لكم على يد السيد أبي القاسم الدباغ ثلاث رسائل مما طبع من مصنفاتي:

إحداها: منظومة تقرب الألف سميتها: دليل السالك إلى موطأ مالك، بينت فيها صحته ومساواته لصحيح البخاري، ورجوع الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح عما اعتمده من ترجيح البخاري عليه في مقدمة فتح الباري، وجعلت له خاتمة في مباحث أصولية مهمة جدا، وأظن أنه يناسبكم كله إلا ما ملت إليه من ترجيح السدل، فعسى أن تكفر حسناته عندكم سيآته كما هو شأن الكرام. وقد كتب لي سيدي محمد بن سيدي جعفر فيه ما نصه: كل تأليفكم هذا من أوله إلى آخره صحيح عندي إلا ما رجحتموه من ترجيح السدل، فقلت له: إني إن شرحته وظهر لي ما يردني عن ذلك وأُرَجِّحُ به القبض رجعت في الشرح ولا غرابة في مخالفة شرح لمتنه، وإن أردتم أنتم الآن فاشرحوه وتعقبوا مبحث السدل بما عندكم، فلا غرض لي إلا ظهور الحق الواضح.

الرسالة الثانية: في أصح ما ورد في المهدي وعيسى عليهما السلام.

والثالثة: في اتصال سندي بالمصافحة بالنبي ﷺ، وقد كتبت لكم الإجازة في ثاني ورقة منها من باب رواية الأكابر عن الأصاغر. ولعلنا نجتمع إن شاء الله بالحرمين فتكون حقيقة، ونقتبس من أنواركم أوفر نصيب. هذا وعنواني إن أردتم مكاتبتي: الشيخ محمد حبيب الله بن ما يابا الشنكَيطي المدرس بالمسجد الحرام، والأولى الإرسال للإجازة مع الحجاج إن تيسر ذلك، وإعلامي في البوسطة بقبولكم لطلبي منكم، جزيتم خيرا، كتبه منتصف المحرم الحرام سنة 1342، محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبد الله بن مايابا خادم نشر العلم بالمسجد الحرام وفقه الله آمين»، اهـ كلامه بلفظه من خطه.

ولا حاجة بي إلى الإطالة بأنه أبقاه الله استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم، لكن:

لَعَمْرُ أَبِيكَ مَا نُسِبَ الْمُعَلَّى
إِلَى كَرَمٍ وَفِي الدُّنْيَا كَرِيمُ
وَلَكِنَّ الْبِلَادَ إِذَا اقْشَعَرَّتْ
وَصَوَّحَ نَبْتُهَا رُعِيَ الْهَشِيمُ (...)

وهذا حين الشروع في المقصود، مستعيناً

ببب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

بالرب المعبود، فأقول: قد أجزت محبي في الله الشيخ محمد حبيب الله الجكني وأولاده جميع ما تجوز لي روايته وثبتت لي درايته من جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم، إجازة عامة مطلقة تامة، أُحدِّثُ بها عني كيف شاء وأنى شاء، بشرطها المعتبر عند أهل الحديث والأثر، متمثلاً بقول أبي جعفر الفاروقي:

أجـازَ لهمْ عُمَرُ الشَّافـعيُّ
جميعَ الذي سألَ المُستجِيزُ
ولم يشترطْ غيرَ ما في اسمه
عليه وذلك شرطٌ وجيزُ

يعني العدل والمعرفة المانعين من الصرف».

وفي عصرنا الحاضر، استمرَّ تقليدُ إقبال الشناقطة على فاس وارتياد جامعتها العتيقة والارتواء من معينها المعرفي الفياض، حيث ارتادها الكثيرون من أمثال الشيخ محمد عبد الله بن الصديق (أمدَّ الله في عمره) الذي انتسب إلى كلية الشريعة في جامعة القرويين سنة خمس وسبعين وتسع مائة وألف ميلادية وحصل منها على شهادة الليسانس، ويعتبر اليوم من خيرة العلماء الذين تفخر بهم موريتانيا.

ونكتفي بهذه النماذج التي اقتصرنا فيها على من أخذوا من الشناقطة عن علماء فاس، أو من فاسيين أخذوا عن علماء شنقيط، لنلقي نظرة على حضور المؤلفات الفاسية في المنظومة العلمية الشنقيطية واهتمام الفاسيين بالمؤلفات الشنقيطية.

المؤلفات الفاسية مرجع معتمد لدى العلماء الشناقطة: أشرنا فيما تقدم إلى أن الرافد المغربي في الثقافة الشنقيطية قد اشتد الإقبال عليه ابتداء من القرن 12 الهجري حيث شكلت القيروان وفاس والزوايا العلمية بالجنوب المغربي مراكز إشعاعه الأساس. وينصبُّ اهتمامنا، في هذه العجالة، على حضور الرافد الفاسي على الساحة العلمية الشنقيطية وما كان له من حجية عند علمائها. وسنتطرق إلى هذه المسألة من زاوية حضور المؤلفات الفاسية في الساحة الثقافية الشنقيطية، وفي الإنتاج المعرفي والاحتجاج العلمي بها.

فمن أكثر المؤلفات الفاسية شيوعاً وتداولا بين الشناقطة:

- **إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة** للمقري التلمساني الفاسي التي جاءت إلى المنطقة في بداية الربع الأخير من القرن الحادي عشر الهجري، فأقبل الناس عليها بالدراسة والشرح والاستدراك منذ ذلك الوقت. وقد أحصى العلامة المختار بن حامد[27] رحمه الله 12 شرحا لها في المنطقة كان أولها شرح العلامة الطالب محمد بن المختار بن الأعمش العلوي (ت1107هـ) المسمى: فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة.

- **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لعبد الواحد ابن عاشر** (ت. 1040هـ) الذي كان يمثل المرحلة الأولى في تعليم الفقه في المحضرة الشنقيطية. وقد شرحه عدة علماء شناقطة من بينهم النابغة الغلاوي (ت. 1245هـ)، صاحب نظم بوطليحية في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب مالك، الذي وضع عليه شرحين مطولاً

ببب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

وموجزاً سماه: المباشر شرح ابن عاشر؛ وأحمد بن البشير الغلاوي (ت.1276هـ) الذي سمى شرحه: مفيد العباد سواء العاكف فيه والبادي، وقد طبع هذا الشرح بالمجمع الثقافي في أبو ظبي سنة 1999.

- **لامية الزقاق في القضاء** لأبى الحسن علي بن قاسم بن محمد التجيبي المعروف بالزقاق (ت912هـ) التي كرس لها العلماء الشناقطة أكثر من عشرة شروح من بينها شرح قاضي ولاته اند عبد الله بن أحمد بن اند عبد الله المحجوبي (ت1172هـ) المسمى: فَكُّ الوِثاقِ عن لاميةِ الزَّقاقِ. أما منهج الزقاق في قواعد المذهب، فقد شرحه سبعة علماء شناقطة من بينهم الطالب عبد الله بن الحاج محمد الرقيق العلوشي (ت1220هـ)، ومحمد محمود بن حبيب الله بن القاضي الإيجيجبي (ت1277هـ) الذي سمي شرحه: مفتاح المرتج من ألفاظ المنهج. أما تكميل ميارة للمنهج فقد شرحه كل من محمد امبارك اللمتوني (ت1293هـ)، ومحمد يحيي الولاتي الداودي (ت1330هـ)، ومحمد يحيي بن سليمة اليونسي (ت1354هـ)، وزين بن اجَّمد اليدالي (ت1359هـ).

- **نوازل عبد القادر الفاسي الكبرى** التي كثر العزو لها واعتني بها الناس، فقد رتبها العالم أحمدُّ بن حبيب بن الزايد الأبيجي التندغي (ت1427هـ) على أبواب الفقه المعهودة بطلب من ابن شيخه محمذ فال بن محمد سالم بن أَلَّا اليدالي في مؤلف من 460 صفحة سماه: إرشاد الحائر في أجوبة عبد القادر.

ووضع عليها عبد الله بن محمذن بن محموداً الحسني المتوفي بفاس سنة 1321هـ تأليفاً سماه: تحفة الأناس من فتاوى حبر فاس...

وضمَّن امبويه المحجوبي الولاتي (ت1277هـ) نوازل ابن هلال مجمع نوازله الذي اشتمل -فضلا عنه- على نوازل سبعة من كبار أصحاب المجامع الإفتائية الشنقيطية ونوازل الورزازي التطواني (ت1166هـ).

أما الآجرومية لأبي عبد الله محمد بن داود الصَّنْهَاجِيّ المعروف بابن آجُرُّوم (ت. 723هـ)، فقد نالت اهتماماً كبيراً ومُحِّصت تمحيصاً لتقريبها من أذهان الناشئة، حيث شرحها عشرة علماء، وعقدها أربعة بالنظم. وكان أول شارحيها عبد الله بن محمد الغيث المحجوبي (ت937هـ)، ثم شرحها سيدي أحمد بن أندغ محمد التنبكتي (ت1045هـ) شرحاً مفيداً سماه الفتوحات القيومية في شرح الأجرومية الذي يقول محمد إبراهيم الكتاني[28] إنه «كان من كتب الدراسة بالقرويين بفاس وطبع بها مرتين، إحداهما بحاشية الشيخ المهدي الوزاني...». كما وضع عليه العلامة محمد بن عبد المجيد أقصبي حاشية، مما يعكس أهمية هذا الشرح بين شروح الأجرومية[29].

وشرح النابغة الغلاوي بائية زروق التي مطلعها:

لقد كان خير الخلق أبهر طلعة
من البدر بل من شمسه هو أذهب

بشرح سماه "أنوار البروق بشرح قصيدة زروق"، كما شرحها محمد بن محفوظ بن دهمد الإيجيجبي(ت1425هـ) وغيره.

ببب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

ومن بين المؤلفات الفاسية الأخرى الواسعة الانتشار في بلاد شنقيط: **معيار الونشريسي، ونوازل ابن هلال ودره النثير** -التي عدها النابغة الغلاوي[30] من الكتب المعتمدة- والنهاية والتمام في معرفة الأحكام للمتيطي، ونظم العمل الفاسي لعبد القادر الفاسي وشرحه لابنه عبد الرحمن، والدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين لميارة، وشفاء الغليل في حل مقفل خليل لابن غازي، وحاشية البناني على الزرقاني، والمنهج المنتخب في قواعد المذهب للزقاق، ومؤلفات زروق في التصوف، وتكميل المرام شرح شواهد ابن هشام لمحمد بن عبد القادر الفاسي، وتحفة الأريب لأبي مدين الفاسي، وزهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي...

وكثيراً ما احتج العلماء الشناقطة في فتاويهم ومؤلفاتهم بآراء علماء فاس واستندوا إليها كمرجع يُعتد به. ولا سبيل للإحاطة في هذا المجال، وإنما سنكتفي بأمثلة من كتب علماء فاس الفقهية التي عزا إليها العلماء الشناقطة كثيراً في مؤلفاتهم مثل: حاشية البناني على شرح الزرقاني لمختصر خليل، وحاشية الرهوني عليهما، واختصار كَنون لحاشية الرهوني، وشرح ميارة على تحفة ابن عاصم، وشرحاه الكبير والصغير على المرشد المعين، وشرح ابن رحال (المكناسي الفاسي) على مختصر خليل الموسوم بفتح الفتاح، وحاشيته على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم، وشرح المنجور على المنهج المنتخب للزقاق، وتقييد أبي الحسن الزرويلي على تهذيب البراذعي، وشرح التسولي على التحفة.

ونذكر من أولئك العلماء الذي عزوا لها: سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في نشر البنود على مراقي السعود، وفي نوازله، والكَصري في نوازله، ومحنض بابه بن اعبيد الديماني في ميسر الجليل على مختصر خليل، والمصطفي بن احمدان في مقتنص الشوارد وشرحه، وأحمد بن محمد عينين بن أحمد بن الهادي (ت 1321 هـ) في مغنيه على مختصر خليل، ومحمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني (ت 1335 هـ) في شرحه على مختصر خليل (النصيحة)، ومحمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت 1323 هـ) في كفافه، ومحمدن ابن أحمدُّ فال التندغي (ت 1400 هـ) في نظم الفوائد، واباه ابن محمد الأمين اللمتوني (ت 1380 هـ) في نظم الفردوس...

وحتى لا نبقى في العموميات، نقدم فيما يلي نماذج دالة من ذلك الاستشهاد لخمسة مفتين من أهل القرون الثلاثة الأخيرة.

فهذا حمى الله التيشيتي (1107 – 1169 هـ)[31] يحتج بنوازل ابن هلال في أكثر من موضع من نوازله، وبرأي سيدى محمد العربي الفاسي[32] بشأن جواز العقوبة بالمال عند تعذر إقامة الحدود، فيقول بعد استعراض مسهب لآراء الفقهاء المختلفة في الموضوع: «وقد أشبع الكلام في هذه المسألة الإمام العالم المتفنن أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن الفقيه العالم الصالح سيدي يوسف الفاسي رحمه الله في جواب له عن المسألة في نحو كراس أجاد فيه ما شاء. قاله العلامة سيدي أحمد ميَّارة في شرح لامية الزقاق[33]».

ولم يكتف التيشيتي بالاستناد في قوله بضرورة

ببب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

المنهل
ALMANHAL
الصفحة الأصلية للمقالة

القضاء بالمثل عن المقوم في البلاد التي لا دنانير بها ولا سكة إلى رأي بعض كبار علماء المذهب في الأندلس، وإنما عزوه بعمل اثنين من كبار علماء فاس، فقال: «...فالصواب القضاء بالمثل عن المقوم في هذه البلاد لما ذكرنا مع أن غير واحد من المحققين كابن سهل والباجي وابن رشد أقام من مسائل من المدونة القضاء بالمثل في العروض، وبه كان يحكم آخر المجتهدين بفاس القاضي أبو يحيى أبو بكر بن خلف المواق[34] كما في شرح المنجور[35] على الزقاق».

كما احتج بقواعد ميارة في عدم ضمان من فعل ما يجوز له ونجم عن تصرفه هلاك نفس أو تَلَفُ مالٍ حين قال: «... وكل من فعل ما يجوز له ونشأ عما فعله هلاكُ نفسٍ أو تَلَفُ مالٍ لا ضمان عليه كما نص عليه الأئمة الأعلام في كتب النوازل والأحكام. وإلى ذلك أشار العلامة أحمد ميَّارة في قواعده[36] بقوله:

وكلُّ من فَعَلَ ما يجوز لَـهْ
فنـشأ الهـلاكُ مما فعـلهْ
أو تلف المالُ فلا يضمنُ ما
آلَ لـه الأمرُ وِفَاقًا فاعلما

تأمل والله تعالى أعلم».

وأحال الكَصري (ت1235هـ) في نوازله إلى أكثر من عالم فاسي مثل احتجاجه بنوازل عبد الرحمن الفاسي في مسألة صحة إيمان المقلد[37]، ومدى وجوب غسل آلة السواك من وسخ الأسنان، ومعنى «المعينة» في قول خليل: «ونية الصلاة المعينة»، الخ...

واستدل النابغة الغلاوي (ت1245هـ) على عدم جواز الإفتاء أو الحكم بالضعيف ببيت من نظم العمل الفاسي، فقال:

والحُكم بالضعيف غيرُ هاد
ما لم يكن من أهل الاجتهاد
أما المقلِّدُ فمحجور علـيه
وعند ترك راجح رُدَّ إلـيه

لذاك قال ذو النِّظام الفاسي
في العملـيَّات، فهي فاسِي:
«حكمُ قُضاةِ الوقتِ بالشذوذِ
يُنْقَـضُ لا يَتِـمُّ بالنُّفُـوذِ»

كما احتج بهذا البيت محنض بابه بن اعبيد الديماني (ت1277هـ) في أكثر من مناظرة من مناظراته الفقهية الكثيرة ولاسيما في مناظرته الشهيرة مع حبيب الله بن الأمين الشقروي (ت1264هـ) بشأن الحلف «بالحرام وجامع الأيمان» وما يترتب عليه من طلاق.

واحتج العلامة محمد نافع بن حبيب بن الزايد التندغي (ت1415هـ) في مسألة مراعاة المصلحة المرسلة في قسم الحبس بَتاً للضرورة بفتوى لابن محسود وتعليل عبد الراحمن الفاسي لها، فقال: « قال كاتبه عفا الله تعالى عنه: فتوى ابن محسود هذه ذكرها في نوازل الأحباس من المعيار[38] وذكر فتوى للخمي[39] تُشَاكِلُها، وهو أنه سُئِل عن بقرة مُحَبَّسَةٍ على امرأة ولا شيء لها من المال غيرَها، وخِيفَ على المرأة من الهلاك جُوعًا؛ فأفتى بأنها تُباع لها مستدلاً بأن قَصْدَ المُحَبِّس القُرْبَةُ، وقد جاء أمر تَحَقَّقَ فيه من القربةِ ما هو أفضلُ من بقاء البقرة. وفي نوازل عبد القادر الفاسي[40] أن الشيخ الجليل عبد الرحمن الفاسي[41] قال إن مستند تلك الفتوى في الجملة مراعاة المصلحة المرسلة »[42].

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

وتحدث نافع عن الفروع التي خالف فيها العلماء النصوص للمصلحة العامة، محتجاً بعمل أهل فاس، فقال: « ثم من الفروع التي خالف العلماء فيها النصوص للمصلحة العامة عملُ أهل فاس بعدم تصديق المُطَلَّقة في انقضاء عِدَّةِ الأَقْرَاءِ[43] وحكمهم لها بما هو الغالب في نساء فاس، وهو ثلاثة أشهر، كلُّ قَرْءٍ له شهر مراعاة للمصلحة العامة لكثرة تَحَيُّلِ نسائهم في تطويل العدة على الأزواج؛ قال في العمليات[44]:

ثُـمَّ الْمُطَلَّقَـةُ ذاتُ الأَقْـرَاَ
ثَلاثةً تَعتَـدُّ شهرًا شهرَا

مع أن تصديقها ورد في آية: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾، الآية[45]».

وتؤكد تحريات بعض الباحثين[46] أن الفاسيين قد اهتموا - بدورهم - بمؤلفات علماء إفريقيا جنوب الصحراء عموما، والشناقطة منهم على وجه الخصوص اقتناء، ودراسة، وتعليقا، وطباعة، حيث كان يوجد عدد من المخطوطات الشنقيطية في بعض الخزائن الفاسية (الخزانة الأحمدية، الخزانة الكتانية، الخزانة الفاسية...) قبل نقل محتوياتها إلى الخزانة العامة بالرباط.

ومن الأمثلة التي ساقها حسن الصادقي في هذا الصدد، مخطوط الفتوح القيومية في شرح الأجرومية لأحمد بن اندغمحمد الذي توجد منه نسخ في الخزانة العامة (خ ع د 309، خص 389، خ ت 2624). وقد قال صاحب نشر المثاني (ج1 / 331) إن هذا الشرح متداول في فاس، ومرّ بنا قول الكتاني إنه «كان من كتب الدراسة بالقرويين بفاس وطبع بها مرتين، إحداهما بحاشية الشيخ المهدي الوزاني..»، وأن العلامة محمد بن عبد المجيد أقصبي قد حشاه هو الآخر.

أما المثال الثاني فهو مخطوط ضياء التأويل في معاني التنزيل لعبد الله بن محمد بن فوديه الفلاني (ت1244هـ) الموجود في الخزانة الكتانية الفاسية تحت رقم 4742 (أصبح يحمل رقم ك 1976 في الخزانة العامة بالرباط) الذي كتب عبد الحي الكتاني تعليقا له دلالته على ورقته الأولى. ومما جاء في هذا التعليق: «هذا التفسير معتمد عند علماء السودان وشنجيط به يدرسون، أخبرني بذلك الشيخ محمد عالِ العلوي الشنجيطي. وذكر عصرينا العلامة الشيخ محمد الأمين بن أحمد [بن بدي] العلوي في كتابه: إفادة الجلاس[47] أن والده كان يعتمده في التفسير ويرجع إليه. كما ذكره واعتمده الشيخ محمد مصطفي بن العلوي في شرحه على نظمه في الشهداء الذين استشهدوا في حياته عليه السلام»[48].

ويذكر الطالب أحمد بن طوير الجنة أن كتابه فيض المنان في الرد على مبتدعة هذا الزمان، الذي ألفه في مدينة برقة الليبية سنة 1247 هـ وهو عائد من الحج، أصبح من مقررات جامع القرويين بفاس[49].

ومن مظاهر هذا الاهتمام، طبع العديد من المؤلفات الشنقيطية بالمطبعة الحجرية بفاس مثل نظم بوطلحية للنابغة الغلاوي في المعتمد من الكتب والفتوى على مذهب مالك الذي طبع بالمكتبة الملكية بفاس عام

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

1282 هـ ضمن الأعمال الفقهية التي اختيرت في تلك الفترة للنشر.

وطبع كتابا سيدي محمد بن محمد الصغير بن امبوجة العلوي (ت1275 هـ): الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سلَّ على الشيخ التجاني سيف الإنكار، وسرية الحق والانتصار والذب عن أولياء الله الأخيار سنة 1319 هـ بتصحيح ومقابلة محمد كَنون، وعلى ذمة محمد التهامي بن محمد العربي بن موسى، وأعيد طبعهما.

كما طبع بفاس ما بين 1326 و1330 جزآن من اختصار الشيخ بن سيدي محمد بن حبت الغلاوي (ت1299 هـ) لكتاب والده سيدي محمد بن حبت (ت1288 هـ): المواهب النحوية على الخلاصة والألفاظ البونية وبهامشه تعليق للسلطان مولاي عبد الحفيظ بن الحسن (ت1330 هـ) على احمرار ابن بونه على ألفية ابن مالك سماه: القول المختار على الألفية والاحمرار.

وتم طبع نشر البنود على مراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم في فاس سنة 1327 هـ، وبهامشه الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن القيرواني الشهير بابن حلولو، بتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، والآمر بالطبع مولاي عبد الحفيظ بن الحسن. كما طبع بأمر منه في 1329 هـ فيض الفتاح على نور الأقاح لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي كذلك، وبتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني أيضاً.

وطبع فتح الودود شرح مراقي السعود ونيل السول شرح مرتقى الأصول للعلامة محمد يحيي الولاتي (ت1330 هـ) لأول مرة بالمطبعة المولوية بفاس سنة 1337 هـ بتقديم العلامة محمد حبيب الله بن مايابي.

وناف ما طبع من مؤلفات الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل على الثلاثين، وكان من أوائل ما طبع منها مغري الناظر والسامع على تعلم العلم النافع في 1294 هـ ونعت البدايات وتوصيف النهايات سنة 1311 هـ.

ونكتفي بهذه الإشارات الخاطفة إلى حضور المؤلفات الفاسية على الساحة الشنقيطية وركون العلماء إليها في التدليل والاحتجاج، وحضور المؤلفات الشنقيطية في فاس، لِنُمَحِّضَ القول للتواصل الطرقي بين المنطقتين الذي شكل - هو الآخر - رافداً معرفياً وآصرة تقارب فكري وروحي.

ويستمد حديثنا عن دور الطرق الصوفية في التواصل مسوغه من كون هذه الطرق في شمال غربي إفريقيا عموما، وفي بلاد شنقيط خصوصاً، قد خدمت المذهب المالكي وتمسكت به تمسكاً قوياً. وعليه، فإنه لا يعتبر خروجاً عن الموضوع إذا مررنا مرور الكرام بنوع آخر من الإشعاع الديني لمدينة فاس من خلال التواصل الروحي في مجال التصوف بين مشايخ فاس ومشايخ بلاد شنقيط.

التصوف ودوره في التواصل الروحي:

شكلت الطرق الصوفية أداة حيوية للتواصل الروحي بين الشناقطة والفاسيين خلال القرون الثلاثة الأخيرة. فقد احتفظت لنا المصادر بأسماء عدد من الشخصيات العلمية

Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'īl li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

التي زارت فاس وأخذت الطريقة عن هذا الشيخ أو ذاك من شيوخها، وأخذ فاسيين عن شيوخ شناقطة ارتادوا بلاد المغرب.

وإذا كان من المعروف عن سكان الصحراء نزعتهم الزهدية وميولهم الصوفي، فإن التصوف بمفهومه الطرقي، القائم على أساس الحضرات والزوايا، لم يظهر في المنطقة قبل القرن العاشر الهجري حيث كانت القادرية، فالشاذلية أولى الطرق الداخلة إلى البلاد من منطقتي توات ووادي درعة. وتتصل أغلب أسانيد أصحاب الطريقتين في المنطقة بأبي العباس أحمد زروق البرنسي الفاسي (ت899هـ)، ولاسيما الطريقة الشاذلية التي زاد قَدَمَهَا رسوخاً في شمال غربي الصحراء. وتعزز ذلك الدور بفضل الزاويا: الناصرية، والدلائية والفاسية التي لعبت -إلى جانب دورها الروحي- دوراً كبيراً في إحياء العلم ونشره في المغرب الأقصى وجنوب الصحراء بفضل جهود شيوخها المؤسسين محمد بن ناصر الدرعي (ت1085هـ)، ومحمد بن أبي بكر الدلائي (ت1046هـ)، وعبد القادر الفاسي (ت1082هـ). وكانت فاس، بوجه خاص، مصدر ارتقاء عدة شخصيات علمية شنقيطية في مدارج التصوف الطرقي.

ففيها تلقى الفقيه الأصولي الصوفي محمد المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي أوراد الشيخ عبد العزيز الدباغ (ت131هـ) عن الشيخ عبد الوهاب التازي (ت1206هـ) الذي يعتبر -إلى جانب أحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي الفاسي (ت1156هـ)- من أبرز الآخذين عن الدباغ والناشرين لتعاليمه. وكان المجيدري قبل سفره للحج قد سلك طريق القوم بأخذ الطريقة الشاذلية الناصرية عن أحمد محمود بن ألفغ الخطاط (ت1196هـ) عن أبيه، عن سيدي أحمد الحبيب السجلماسي، عن أحمد بن عبد القادر، عن محمد بن ناصر الدرعي.

وقد أخذ الورد الجديد عن المجيدري علماء بارزون من بني جلدته مثل أخيه أحمد تكرور بن حبلّه، والبخاري بن الفلالي البارکلي (ت1252هـ)، ومولود بن أتفغ أعمر (ت1208هـ) ومولود بن أحمد الجواد (ت1243هـ) اليعقوبيين، ومحمد بن سيدي محمد السباعي التيشيتي (ت1263هـ)؛ وعن هذا الأخير أخذها ابن أخته العالم الجليل محمد بن محمد سالم المجلسي (ت1296هـ).

وكانت التجانية فاسية المنطلق والانتشار في إفريقيا جنوب الصحراء الذي مثلت بلاد شنقيط قنطرة له. فقد دخلت الطريقة التجانية هذه البلاد على يد أشخاص أخذوها مباشرة عن الشيخ سيدي أحمد التجاني بن محمد (1150-1230هـ) في فاس ويثوها في أطراف المنطقة، منهم: الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي (ت1247هـ)، والسالك بن الإمام الحاجي الوداني (ت1245هـ)، وعبد الرحمن بن أحمد الصديقي الشنقيطي (ت1224هـ)، والطالب جدو بن الشيخ المختار العلوي، وعثمان الفلاني... وإذا كان معظم هؤلاء لم يبق لهم سند مشهور الآن، فإن الشيخ محمد الحافظ يُعد من أبرز أعلام الطريقة التجانية في المنطقة وإليه ترجع أسانيد معظم المنتسبين لها في غرب إفريقيا،

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

وبالذات على أيدي مريديه: سيدي مولود فال بن محمذن فال اليعقوبي (ت1267هـ)، وبدي بن سدينا العلوي (ت1264هـ)، خليفة الشيخ محمد الحافظ، والحاج عمر تال الفوتي (ت1280هـ) ومن قفوهم من المريدين من أمثال الحاج مالك سي (ت1340هـ)، والحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله نياس الكولخي (ت1395هـ) الذي بلغت الطريقة التجانية قمة انتشارها في إفريقيا على يده ويد مريديه من الشناقطة.

شكلت الطرق الصوفية أداة حيوية للتواصل الروحي بين الشناقطة والفاسيين خلال القرون الثلاثة الأخيرة. فقد احتفظت لنا المصادر بأسماء عدد من الشخصيات العلمية التي زارت فاس وأخذت الطريقة عن هذا الشيخ أو ذاك من شيوخها، وأخذ فاسيين عن شيوخ شناقطة ارتادوا بلاد المغرب.

وكان الشيخ محمد الحافظ قد أخذ عن كبار علماء قومه في عهده مثل سيدي بن احمدان (ت1230هـ)، وسيدي عبد الله بن أتفغ سيدي أحمد، وحرمة بن عبد الجليل (ت1243هـ)، وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم. ثم سافر إلى الحج، وأخذ التجانية عن مؤسسها بمدينة فاس عند مروره به في رجوعه من رحلته إلى الحج، فبقي إلى جانب الشيخ أحمد التجاني ثلاث سنوات يربيه حتى قدمه في تلقين أوراده. وقد عاد إلى بلاده سنة 1220هـ وأخذ في نشر الطريقة فيها وفي جوارها الجنوبي، وأصبح خليفة التجانية في المنطقة وما جاورها. وواصل خلفاؤه الدور من بعده بفعالية ونشاط، وظلت صلاتهم بفاس متجددة مع الأيام لا بوصفها مزاراً فحسب، وإنما كذلك بوصفها منطقة جذب للتواصل الفكري والتزود المعرفي، وحَكَم يرجع إليه عند الملمات كما كان الحال في صراع التجانية العُمرية مع القادرية البكائية الذي وجد التعبير عنه في رسالة أحمد بن محم بن العباس العلوي في 1281هـ/ 1865م إلى تجانيي المغرب عموماً، وأهل فاس خصوصاً، للتعريف بالحاج عمر الفوتي ومراحل جهاده، والدفاع عن أعماله السياسية، على أمل الحصول من مخاطبيه على تزكيته وإدانة خصمه سيدي أحمد البكاي ومن يدور في فلكه من أمراء ماسنة[50].

وكان لكل من القادرية الفاضلية[51]، والقادرية المختارية[52] حضور في التواصل العلمي والروحي بين الشناقطة والفاسيين. فالقادرية الفاضلية المتصلة في سندها بالشيخ أحمد زروق الفاسي، قد وجدت مرتكزاً قوياً لها في فاس منذ أن أسس الشيخ ماء العينين زاوية له فيها سنة 1314هـ، وأخذ عنه الطريقة القادرية الفقيه محمد بن جعفر الكتاني سنة 1320هـ[53]، ومحمد بن عبد الحفيظ بن هاشم القادري الفاسي[54] وغيرهما.

أما القادرية المختارية فلم تكن حاضرة فقط من خلال مؤلفات كبار مشايخها المنتشرة في خزائن المخطوطات المغربية، وإنما وجدت كذلك من يعتنقها من أهل المغرب عموما[55]، وأهل فاس خصوصاً مثل العربي الزرهوني الفاسي (ت1260هـ) الذي قال الكتاني[56] إنه أخذ الطريقة القادرية عن محمد بن حبيب الله الصغير الشنكَيطي عن الشيخ سيدي محمد

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

(ت1242هـ) عن أبيه الشيخ سيدي المختار الكنتي. وقال عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي (ت1383هـ)[57] إن أبا عبد الله محمد بن عبد الهادي الدباغ الحسني كان شيخ القادرية بفاس، أخذها عن أبي عبد الله محمد الصحراوي، عن محمد بن العجوز الريفي، عن الشيخ سيدي المختار الكنتي الحفيد، عن والده الشيخ سيدي محمد، عن والده الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير بسنده.

كما كان لبعض مشايخها مراسلات مع أهل فاس، وخصوصاً الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي الذي راسل أهل فاس[58] باحثاً عن دعمهم في مناظرته مع الحاج عمر الفوتي خلال حرب هذا الأخير ضد ماسنه وبمباركة حلفاء البكاي - التي اكتست صبغة صراع مفتوح بين التجانية والقادرية - وداعيا إياهم إلى اعتناق القادرية والتمسك بها.

* * *

ومن خلال هذه الإطلالة السريعة على جوانب من الصلات العلمية والروحية بين علماء شنقيط وعلماء فاس، نرى أن تلك الصلات ظلت متجددة مع الأيام ومتعددة الأوجه، وأنها جديرة بأن تكرس لها أكثر من دراسة علمية جادة، وأن ينفض غبار النسيان عنها وعن مصادرها الدفينة في مراكز التوثيق العامة والخاصة على جانبي الصحراء.

وعسى أن تتحفز همم الناشئة من باحثينا لهذا المجهود العلمي المهم، وفاء لأرواح سلفهم الصالح من العلماء الذين لم يحل نأي الدار، ولا ضيق ذات اليد، أو مصاعب الطريق بينهم وبين طلب العلم وصلة الرحم... والله أعلم.

الهوامش

1. تمثل ذلك التواصل في اللقاء الذي تم بين الرجلين في القيروان أثناء إياب الأمير الكُدالي من الحج حيث اشتكى للفقيه الفاسي جهل قومه وحاجتهم إلى من يفقّههم في أحكام الشرع ويُلزمهم حدودها. فاستجاب أبو عمران لطلب الأمير وأحاله إلى شيخ سوسي سبق وأن تتلمذ عليه، هو وجاج بن زلّو اللمطي الذي انتدب تلميذه عبد الله بن ياسين لمرافقة الأمير الصنهاجي إلى الصحراء.
2. ذلك في القضاء على زناتة المغراويين في سجلماسة ودرعة، والبجليين الروافض الشيعة في رودانة من بلاد السوس، ونحلة برغواطة وغيرها. ويمكن الرجوع بهذا الخصوص إلى: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية 1420هـ/ 1999، ص161 - 166.
3. مثل استفتاء مرابطي الصحراء لابن رشد الجد عن ظاهرة غصب المواشي الشائعة فيما بينهم منذ القديم، المنشور مع جوابه في الجزء 9، ص. 542- 543 من المعيار المعرب، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، واستفتاء محمد ابن علي اللمتوني للسيوطي في 898هـ المنشور تحت عنوان: "رسائل من بلاد التكرور" في: الحاوي للفتاوي، دار الفكر، بيروت (د. ت.)، ج.1 / 285 - 294.
4. من ذلك ما ذكر ابن أبي زرع (الأنيس المطرب، المطبعة الملكية، الرباط، ط.2، 1999 / 157) عن إفتائه يحيى بن إبراهيم الكُدالي وغيره من رؤساء اكدالة ولمتونة بمفارقة ما زاد على أربع من زوجاتهم، وما ذكر البكري (المُغرب، ط. ديسلان، الجزائر 1959 / 169) وابن عذاري (البيان المغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1983، ط.3، ج. 4 / 10 و16) من إفتائه بإقامة الحدّ على من جاء تائباً من ذنوبه، وأخذ الثلث من الأموال المختلطة لتطيب بذلك...!!
5. ترتيب المدارك...، تحقيق سعيد أحمد أعراب، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية،

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل
ALMANHAL

مطابع الشويخ "ديسبريس"، تطوان 1983، ج 8 / 80.

6. عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت1103هـ/ 1692م)، المعروف بقاضي شنقيط وقاضي البراكنة: عالم بارز، تلقى معارفه في موطنه الأصلي مدينة شنقيط وجارتها الشمالية ودان، وأسس مدرسة بشنقيط أخذ عنه فيها أعلام. وسافر للحجّ والتقى بعدد من علماء المغرب ومصر مثل علي الأجهوري. وقاد هجرة قومه إلى أرض القبلة بسبب الحروب التي دارت بين أفراد قبيلته في شنقيط. وعندما حلّ بأرض القبلة، نزل على تشمشه فأكرموه ونصبوه للتدريس حيث تخرج من محضرته الذائعة الصيت عدد من العلماء والأدباء، وفيه يقول العلامة محنض بابه بن اعبيد الديماني:

فعمَّمْ به في إيدوَعْلٍ وخصِّصَنْ
بنِي شيخِنا قاضي القضاةِ نَجِدْ مَرْعَا
فجدُّهُمُ أُستاذُ تَاشُمْشَ كُلِّهِمْ
قد ارْتَضَعُوا من عِلْمِهِ الخِلْفَ والضَّرْعَا

ثم رحل عنهم واستقر في إدابلحسن، وظلّ يدرس فيهم إلى أن توفي.

7. السكتاني: هو أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمن بن عيسى الرجراجي السكتاني، قاضي الجماعة بمراكش وتارودانت، العالم المحقق النظار، المتبحر في علوم الأصول واللغة والفقه، المشارك في غيرها من الفنون. أخذ بمراكش عن محمد بن أبي القاسم الفلالي، ومبارك بن علي السجتاني، وقرأ بفاس على قاضيها عبد الواحد بن أحمد الحميدي، وعلى مفتيها يحيى بن محمد السراج الرندي، وأحمد بن علي الصنهاجي الزموري، والحسن بن عبد الله بن مسعود الدرعي. وعنه أبو علي اليوسي، وعبد الرحمن التمنرتي، وعبد الله بن يعقوب السملالي، وعلي بن أحمد الرسموكي وغيرهم. له "حواشي على الصغرى"، وشرح صغرى الصغرى، وبعض الفتاوى المجموعة. درَّس بمراكش واستقضي في بعض أعمالها، ثم ولي قضاء الجماعة بسوس ودرَّس بتارودانت، ثم انتقل بعد اضطراب أحوالها في ثلاثينيات القرن الحادي عشر إلى مراكش حيث وُلِّي القضاء والتدريس.

8. رجعنا إلى نسخة جامعة الرياض من أجوبة عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني المحفوظة تحت الرقم 2609 المؤلفة من 103 أوراق، حيث وردت تلك الفتوى في الورقتين 9 و10 دون ذكر صاحبها الذي مدتنا به المصادر الشنقيطية. واكتفي جامع أجوبة السكتاني بالقول: "وكتب إليه بعض طلبة شنكَيض في مسألتين...".

9. ورد هذا السؤال وجوابه في كتاب: تبيين مخرج الجيم لعبد الله بن أبي بكر التنواجيوي (ت. 1145هـ)، مخطوطة باريس رقم 5481، ص286–289، نقلا عن ددود بن عبد الله: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17–18م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1992 – 1993، ص. 184 – 185.

10. أجوبة عيسى السكتاني، م.س، ص. 10.

11. هذا ما ذهب إليه الأستاذ ددود بن عبد الله: "الحركة الفكرية في بلاد شنقيط..."، ص. 185 معضداً رأيه بقول صاحب الوسيط (ص. 515): "كل أهل شنقيط ينطق بالضاد الموجودة بمصر وغيرها سوى العلامة اللقن محمد فال بن بابا، حفظه الله، فإنه ينطق بها قريبة من الظاء المألوفة، وكان أُحْدِثَ القراءة بهذه الضاد بعد أن رجع من الحجّ في آخر أيام السلطان مولاي الحسن رحمه الله".

12. ابن رازكَة: هو سيدي عبد الله بن محمد بن القاضي عبد الله العلوي المعروف بابن رازكه (ت. 1144هـ/ 1730م): عالم شاعر رائد في فن الشعر ببلده. أخذ عن ابن الأعمش، وجده القاضي، وعن أشفغ مينحنه بن مودي مالك (ت. 1151هـ/ 8 – 1739م)، وسافر مرات إلى المغرب الأقصى وأخذ عن بعض أشياخها كأحمد العطار، وأبي مدينه القاضي الأكبر، وأحمد بن يعقوب الولالي. ومن أشهر الآخذين عنه الفقيه سيدي محمد بن موسي بن أيجل الزيدي شيخ البرتلي صاحب فتح الشكور، والحاج إبراهيم العلوي الذي سمى باسمه ابنه سيدي عبد الله. وقد ارتبط ابن رازكَه بصلات وثيقة بأمراء الترارزة في عهده ولاسيما أعلى شنظوره الذي صحبه في رحلته الاستنجادية إلى المغرب في 1719 للاستفادة مما كان له من صلات

ببب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

وثيقة بالبلاط العلوي ولاسيما مع الأمير محمد العالم بن مولاي إسماعيل الذي كان ابن رازكَه أحد شعراء حلقته الأدبية خلال ولايته على تارودانت، ومدحه بقصائد شهيرة، واحتفي الأمير بمقدمه شعراً أكثر من مرة. وحاز مكانة علمية مرموقة في عموم المنطقة وكان على علاقات مميزة مع أترابه من العلماء من أمثال محمد اليدالي. ترجم له البرتلي في فتح الشكور، ص. 164–162 وأشاد كثيرًا بمكانته العلمية، وابن الأمين الشنقيطي في الوسيط، ص. 1 – 24، وابن دهاه في تحقيقه ديوان ابن رازكَة (15 – 70)، وابن اباه في الشعر والشعراء، ص. 76، وابن الحسن في الشعر الشقيطي في القرن الثالث عشر، ص. 85، وغيرهم.

13. ابن زكري: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكري الفاسي(ت. 1144هـ)، شيخ الجماعة وعلامة وقته، المقرئ الحافظ المحدث، الفقيه المدرس. أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي، وأحمد بن العربي بن الحاج، والفقيه المسناوي وغيرهم، وعنه الشيخ محمد بن قاسم كسوس وغيره. من مؤلفاته: حاشية على البخاري، وشرح النصيحة الكافية لزروق، وشرح خريدة السيوطي، وشرح على الصلاة المشيشية، والفوائد المتبعة في العوائد المبتدعة. وقد أَلَّفَ في مناقبه أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني كتاب: الْعَرْفُ الشَّحْرِي في بعض فضائل ابن زكري.

14. ديوان ابن رازكَه، شرح وتحقيق ودراسة محمد سعيد بن دهاه، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1986، ص. 145 – 146.

15. أحمد بن الأمين الشنقيطي: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مكتبة الخانجي، القاهرة 1989 ط4، ص 8 – 9.

16. الخليل النحوي: بلاد شنقيط، المنارة.. والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987، ص. 275 – 280.

17. راجع بهذا الخصوص: ديوان الشيخ حمدون بن الحاج السلمي المودع بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 383 D.الصفحات 62 – 65، ولاسيما النبذة الملحقة به المسماة: "روض النيلوفر في ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التي هي أعطر من المسك الأذفر"، الصفحات 340 – 341 و375 حيث تضمنت مشاعرات بين المجيدري وصاحب الديوان الذي حلى المجيدري بأوصاف من قبيل "العلامة المجتهد بإطلاق".

18. أحمد بن إدريس الحسني الفاسي: مجموعة أحزاب وأوراد ورسائل، القاهرة–الخرطوم 1985، ص. 203.

19. أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء 1956، ج. 8 / 68.

20. راجع بشأنها: مولاي عبد الرحمن بن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، المطبعة الوطنية، الرباط 1347هـ/ 1927، ج.1، ص. 211– 214.

21. سيدي محمد العربي بن السائح: بغية المستفيد لشرح منية المريد، تحقيق سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، ط.2 / 2005، ص.6

22. "الفقه المالكي والوحدة المذهبية بين المغرب والصحراء"، ندوة الإمام مالك، فاس 1980، ج. 1(111 – 122)، ص. 120.

23. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، باعتناء الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط.2 / 1982، ج. 1 / 490.

24. المصدر نفسه، ص. 272.

25. فهرس الفهارس والأثبات، م. س.، ص. 388.

26. عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي: معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، دار الكتب العلمية، بيرون 2003، ص. 170، وتحمل ترجمة ماء العينين رقم 70 في هذا المعجم.

27. حياة موريتانيا، الجزء الثاني: الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس 1990، ص. 29.

28. مقدمة طبعة دار الغرب الإسلامي من فتح الشكور، بيروت 1981، ص. 11.

29. د. محمد أمين المؤدب: "جوانب من الصلات الثقافية بين المغرب وغرب إفريقيا"، ضمن: أعمال ندوة

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء، كلية الآداب تطوان (المغرب) وكلية الدعوة الإسلامية طرابلس (الجماهيرية) 1999 (587-605)، ص. 595.

30. بوطليحية، تحقيق يحيي بن البراء، المكتبة المكية (مكة المكرمة) - مؤسسة الريان (بيروت) 2002، ص. 87-88.

31. نوازل حمى الله التيشيتي، جمع وتحقيق د. محمد المختار ولد السعد، نشر دائرة القضاء بأبو ظبي، دار القلم دمشق 2010، ص. 358 - 359.

32. سيدي محمد العربي الفاسي: هو أبو عبد الله محمد العربي بن يوسف (988 - 1052هـ)، علامة فاس المحقق وحامل لواء العلم بها في عهده. أخذ عن أبي الطيب الزياتي وعن والده أبي المحاسن يوسف الفاسي وأخيه أحمد وعمه عبد الرحمن، وعن الشيخ القصار الذي لازمه وانتفع به وأجازه، وعن المري وابن عمران والسفياني ومحمد القنطري وأبي عبد الله الدلائي وغيرهم. وعنه جماعة منهم بنوه الأربعة عبد الوهاب ويوسف وعبد العزيز وعبد السلام وابن أخيه عبد القادر بن علي الفاسي وابن أخيه محمد بن أحمد الفاسي. من مؤلفاته: فهرسة ترجم فيها لأشياخه، ومطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات، ومراصد المعتمد في مقاصد المعتقد، وتلقيح الأذهان بتنقيح البرهان، والطالع المشرق في أفق المنطق، ونظم الأجرومية، وعقد الدرر في نظم نخبة الفكر وشرح عليه، وشرح على القصيدة الشقراطسية وتأليف في حكم شهادة اللفيف، وجواب في مسألة العقوبة بالمال المحال إليه هنا (مخطوط الخزانة الملكية بالرباط رقم 9166 وتضمنه الجزء 10 من المعيار الجديد للوزاني)، ومنظومتان في ألقاب الحديث ومدائح نبوية وأشعار كثيرة. وقد ذهب في رسالته المطولة في المسألة المتحدث عنها هنا إلى أن العقوبة بالمال من الأمور التي لم يرد فيها نص ولا حكم خاص بها، "فلها عمومات تشملها ونظائر وشواهد تستجملها".

33. شرح لامية الزقاق: شرح ميارة الفاسي على لامية الزقاق المشار إليه هنا هو فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق. وقد رجعنا لطبعة المكتبة العصرية منه الصادرة سنة 2008 بتحقيق رشيد البكاري. والعزو المحال إليه وارد بنصه -ويتصرف بسيط في بدايته - في الصفحات 432 - 435 من هذه الطبعة في حديثه عن أنه "على القاضي أن يحدث قضاء بحسب ما أحدث الناس" من فجور خلال شرحه لبيت اللامية القائل:

وكُن ذا تأنّ عارفاً بعـــوائـــــد
وأحْدِث قضاء للفجور كما جلا.

34. المواق: هو أبو يحيي أبو بكر بن خلف المواق، الفقيه القرطبي المتبحر الذي سكن فاس وولي قضاءها حتى توفي، وصاحب مقالات وتنبيهات في المكاييل والأوزان. وما نسب له في نص التيشيتي وارد حرفيا في الصفحتين 500-499 من شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب للإمام المنجور، دراسة وتحقيق محمد الشيخ محمد الأمين، الرياض، دار عبد الله الشنقيطي (د. ت.). والمنجور نقل تلك الرواية عن "أبي الحسن الصغير عن أبي محمد صالح عن شيخه أبي محمد بن تاغزيزت". وقال المحقق إن وفاة أبي يحيي كانت في سنة 590هـ أو 599هـ، وهذا التاريخ الأخير هو الأرجح لأنه هو المثبت له في كتاب التاريخ العلمي لجامعة القرويين الصادر عن الإيسيسكو، وفي بحث الأستاذ محمد الشريف المعنون: "تقييد جديد حول النقود والأوزان والمكاييل المغربية في القرن السابع الهجري (تقديم وتحقيق)"، مجلة التاريخ العربي، العدد 11، صيف 1999. ترجم لابن خلف المواق صاحب التكملة لكتاب الصلة (ج.1 / 180) وقال إنه سمع من أبي إسحاق بن قرقول وأبي عبد الله بن الرمامة وغيرهما "وكان حافظا حافلا في علم الفقه والخلاف فيه، ملازما للتدريس تام النظر لا يدانيه أحد في ذلك، وله تنبيهات ومقالات مفيدة منها في المكاييل والأوزان، وعني بالحديث على جهة التفقه والتعليل والبحث عن الأسانيد والرجال والزيادات وما يعارض".

35. المنجور: هو أبو الحسن أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجوري الفاسي (995-926هـ)، علامة فاس وأحد أواخر علماء المغرب المتبحرين في الفقه وأصوله. وصفه صاحب درة الحجال (ترجمة رقم 186) بأنه

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل ALMANHAL

"كان أحفظ أهل زمانه وأعرفهم بالتاريخ وغيره"، وحلاه أبو سالم العياشي في رحلته (2 / 274) ب "حافظ المغرب من المتأخرين وإمام المحققين". أخذ عن اليسيتني وسقين، وابن هارون، وعبد الواحد الونشريسي، والزقاق وغيرهم من المغاربة. وعنه جماعة منهم الشيخ البطيوي، وعبد الواحد الرجراجي، وابن أبي نعيم، وإبراهيم الشاوي، وابن أبي العافية، وابن عرضون، وعيسى السكتاني، وعبد الواحد الفلالي، ويوسف الفاسي.. ألف مراقي المجد في آيات السعد، وشرح عقيدة ابن زكري، ومختصر المنهج المنتخب، وقواعد الزقاق المحال إليها هنا، وكبرى السنوسي، وفهرسة حافلة ترجم فيها لمشيخته وختمها بتعداد مؤلفاته التي قال الكتاني في فهرس الفهارس والإثبات (2 / 567) بشأنها ما نصه: "وعلى فهرس المنجوري وابن غازي مدار أسانيد أهل المغرب، وهما البرزخ العظيم بين المغاربة والأندلسيين، والمغاربة والمشارقة. وفيها يقول الشهاب أحمد الهشتوكي السوسي:

وفَهْرِسَةُ المنجورِ فيها كفايةٌ
أتت بالمهمِّ دونَ حدٍّ ولا حَصْرِ ".

36. قواعد ميارة: يقصد بها منظومته المسماة: بستان فكر المُهج في تكميل المنهج المؤلفة من 400 بيت من الرجز التي أكمل بها منظومة الزقاق المسماة: المنهج المنتخب في قواعد المذهب، ووضع عليها شرحًا سماه: الروض المبهج في شرح تكميل المنهج. وقد طبع هذا الكتاب طبعة حجرية في 1305هـ، ثم حققه محمد فرج الزايدي مع شرحه تحت عنوان: الروض المبهج بشرح بستان فكر المهج في تكيل المنهج، ونشرته شركة إيلجا بملطة سنة 2001. والبيتان المستشهد بهما واردان في الصفحة 428 من هذه الطبعة في بداية المسألة 136 المعنونة: "كل من فعل فعلاً جائزاً فنشأ عنه تلف نفس أو مال فلا ضمان عليه".

37. نوازل القصري، نسخة النه بن الصفي، الجزء الأول، ص. 27 حيث جاء فيها بهذا الخصوص ما نصه: « وفي نوازل الفاسي: "وأما المقلد فهو الذي معه عقد صحيح جازم تلقاه من غير الرسول وليس معه دليل، إذ لم ينظر قط في الآيات ولا اعتبر المصنوعات وإنما كان في جزيرة أو صحراء منقطعًا عن العمارة وعن مجاورة المسلمين، ولا سمع قط شيئا من أمور الإسلام، فأخبره مخبر بذلك فصدقه وجزم به، وأما من خالط المسلمين، ويعرف الخالق من المخلوق، والرسول من المرسل، ويستدل بالآثار على المؤثر، وبالمصنوعات على كمال القدرة والملك النافذ، فليس بمقلد بل هو مؤمن مستدل"».

38. راجع: المعيار، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981، ج.7، ص. 332 حيث وردت تلك الفتوى ونصها: "وسئل القاضي أبو الحسن سيدي علي محسود رحمه الله عن أرض المساكين المحبسة عليهم، هل يجوز بيعها في مثل هذه السنة لعيشهم لما نزل من الخصاصة والحاجة بالمساكين أم لا؟ فأجاب: بيع أرض المساكين في مثل هذه السنة لعيشهم وحياة أنفسهم أفضل عند الله من بقاء الأرض بعد هلاكهم، وقد أمرت ببيع كثير منها في مثل هذه السنة".

39. أورد الونشريسي في نوازل الأحباس (ج.7) عدة فتاوي للخمي في هذا السياق منها تلك الواردة ضمن فتوى اليزناسني في الصفحة 291 بشأن حبس المرأة المشروط على ابنتها الذي قال فيه اللخمي إنه "لو نزلت شدة حتى خيف عليها لأنفق عليها منها، لأنه قد جاء أمر يعلم أن الجَدَّةَ أرغب فيه من الأول...".

40. هو أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري (ت1091هـ). من أكابر الفقهاء والمتصوفة في فاس، أخذ عن علماء كثيرين منهم محمد الزيات والشهاب المقري وابن عاشر وأبي عبد الله السوسي. وأخذ عنه كثيرون منهم ابناه محمد وعبد الرحمن، وعيسى الثعالبي، وأبو سالم العياشي، ومحمد ميارة الصغير، والشيخ اليوسي. ومع غزارة علمه لم يتصدر لتآليف خاصة، وإنما صدرت منه أجوبة عن مسائل سئل عنها وجمعها بعض أصحابه. وقد ترجم له ابنه عبد الرحمن في مجلد حافل سماه تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر.

41. هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر بن علي الفهري (1040–1096هـ): أخذ عن والده وعمه أحمد والقاضي ابن سودة وميارة الكبير وعبد الرحمن

الصلات العلمية و الروحية بين علماء فاسية و علماء فاس في عهد الدولة العلوية
بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328

النسخة الأصلية للمقالة
المنهل
ALMANHAL

بن العربي الفاسي وغيرهم من علماء المغرب والمشرق. له تآليف منها: نظم العمل الفاسي الذي أحال إليه نافع، وغاية الوطر في علم السير، والقطف الداني في البياني والمعاني، والباهر في اختصار الأشباه والنظائر الخ...

42. نافع بن حبيب بن الزايد: "كشف الالتباس ودفع الوسواس عن قسمة الأسداس"، ضمن كتاب: القبيلة والبني القبلية بين الثبات والتغير من خلال مسألة العاقلة، تقديم وتحقيق د. محمد المختار ولد السعد ود. يحيي بن البراء (قيد النشر)، ص. 68 – 69.

43. عِدَّةُ الأَقْرَاء: الْقَرْءُ: الحيض والطهر، جمعه أقراء وقُرُوء وأَقْرُؤٌ، وقيل جمع الطهر: قُرُوءٌ، وجمع الحيض أَقْرَاءٌ. وأَقْرَأَتِ المرأة إذا حاضت أو طهرت. وعليه تكون عِدَّةُ الأَقْرَاء هي ثلاثة قُروء (طهرات).

44. أنظر: شرح نظم العمليات للفاسي ص.19 من مخطوطة المعهد الموريتاني للبحث العلمي المودعة تحت رقم 2797، وتحفة أكياس الناس بشرح عمليات فاس لأبي عيسى المهدي الوزاني الفاسي، تقديم وإعداد الأستاذ هاشم العلوي القاسمي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب 2001، ص. 115.

45. الآيتان 6 و7 من سورة البقرة.

46. حسن الصادقي: "مخطوطات في موضوع فاس وإفريقيا" ضمن: ندوة فاس وإفريقيا، العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية، معهد الدراسات الإفريقية (الرباط) وكلية الآداب والعلوم الإنسانية (سايس- فاس)، الطبعة الأولى 1996 (13 – 26)، ص. 14 – 17.

47. يقصد الكتاني كتاب الفقيه والشيخ الصوفي الكبير محمد الأمين بن أحمد بن محمدي العلوي (ت1383هـ) في مناقب والده، واسمه الصحيح: نزهة الغياب والجلاس في مناقب شيخنا ووالدنا أبي العباس.

48. الصادقي: "مخطوطات في موضوع فاس وإفريقيا"، م. س.، ص. 17.

49. رحلة المنى والمنة (مخطوط)، ص. 148.

50. راجع بهذا الخصوص: ذ. أحمد الأزمي: "دور الزاوية التجانية في تمتين الروابط بين مدينة فاس وإفريقيا جنوب الصحراء"، ندوة فاس وإفريقيا، م. س.، (241 – 255)، ص. 251 – 253، وأحال إلى رقم هذه الرسالة في مخطوطات المكتبة الوطنية الفرنسية:

B.N.P. Manuscrit 5884, F 115.

51. نسبة إلى مؤسسها الشيخ محمد فاضل بن مامين بن الطالب اخيار بن الطالب محمد بن اجيه المختار القلقمي (ت. 1286هـ).

52. نسبة إلى الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت. 1226هـ) الذي أحيى الطريقة القادرية البكائية (نسبة لسيدي أحمد البكاي الكنتي المتوفي 920هـ) وأعطى للطريقة القادرية في المنطقة بعدا اجتماعيا وسياسياً ومجالياً كبيراً.

53. راجع: الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، م. س.، ج. 1 / 516.

54. المصدر نفسه، ج. 2 / 936،

55. كانت الطريقة القادرية منتشرة في المغرب ولها أتباع ومريدون، ودخلها أفراد من المخزن العلوي حسبما جاء في مخطوط الكواكب الدرية في بيان أشياخ السلسلة المختارية القادرية لمحمد بن محمد بن عبد الله بن ياسين المراكشي (ت1331هـ)، مخطوطات مؤسسة علال الفاسي، رقم 292.

56. فهرس الفهارس والأثبات، م. س.، ج. 2 / 781.

57. معجم الشيوخ، م. س، ص235 ضمن ترجمة الفضيل العلوي.

58. رسائل أحمد البكاي الكنتي إلى أهل فاس، مؤسسة علال الفاسي (م.ع.ف)، ع147، ومخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1071 مكرر، و"الجواب المسكت" لأكنسوس، مؤسسة علال الفاسي: ع248، وجواب البكاي: "فتح القدوس في الرد على أكنسوس"، ك2455.

بيب ، محمد الأمين بن محمد
Al Manhal Collections (www.almanhal.com) - 07/04/2020 User: @ Qatar National Library
Copyright © Markaz Darrās bin Ismā'il li-Taqrīb al-Madhhab wa-al-'Aqīdah wa-al-Sulūk. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law.
https://platform.almanhal.com/Details/Article/40328